مكتبة الاسكندرية: التاريخ المتجدد

سلطة الجذور

الذات والعالم والمطلق

ما الشعبى فى المعتقدات الشعبية

بنية سوسيولوجيا بورديو ومنطقها

دالاس وأيديولوجيا الثقافة الجماهيرية

نص وقراءتان: وكالة عطية
بين لسان الورق والمهمشين روائيا

محفزات السرد والنص الباطن فى سيرة الظاهر بيبرس

البنية اللسانية والخطاب فى سيرة بنى هلال

شخصية العدد: سهير القلماوى فى شهادتين

العدد ٦٠ / صيف ـ خريف ٢٠٠٢

لسابحاء ومرکز اطلاع رسا
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

فصول

مجلة النقد الأدبي
علمية محكمة

محور العدد:

الثقافة الشعبية والحداثة

مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

شماره ثبت ۱۰۲۲۳۴۰
تاریخ ۴/۶/۱۳۸۵

فصول

مجلة النقد الأدبي
علمية محكمة

العدد رقم ٦٠

رئيس مجلس الإدارة
سمير سرحان

رئيس التحرير
هدى وصفى

نائب رئيس التحرير
محمد الكردى

مدير التحرير
محمود نسيم

السكرتارية
آمال صلاح
محمد سعد شحاته

جمع وتنضيد
أمل على

هيئة المستشارين

سيزا قاسم
صلاح فضل
فريال غزول
كمال أبو ديب
محمد برادة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قواعد النشر:

- ألا يكون البحث قد سبق نشره.
- يتراوح عدد كلمات البحث من ٨٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠ كلمة.
- يفضل أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب IBM ومرفقًا به القرص المدمج.
- على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية وملخصا وافيا.
- لا ترد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
- يخضع ترتيب النشر لاعتبارات فنية.
- تدفع المجلة مكافأة مقابل البحوث المنشورة ويحصل الباحث على نسخة من المجلة.

النص الحجاجـــــى العـــــربى
دراسة فى وسائل الإقناع

محمد العبد

١ – توطئة

توصيف مكونات البنية الحجاجية للنص الحجاجى العربى تشكل نوعاً نصياً خاصاً، واستقراء وسائل الإقناع المنطقية واللغوية وتحليل صورها المختلفة انطلاقاً من معطيات العينات النصية المختارة لهذه الدراسة ذاتها، هما الهدفان الأوليان اللذان تسعى دراستنا إلى تحقيقهما. وقد اقتضى تحقيق هذين الهدفين تمهيد السبيل إلى التطبيق بهذه التوطئة النظرية التى نرمى بها إلى إلقاء ضوء على المفاهيم والأسس النظرية ذات الصلة الوثقى بمحتوى المعالجة التطبيقية.

(أ) أنواع النصوص

التمييز بين أنواع النصوص وفقاً لمعايير لغوية واتصالية هو مجال نظرية أنواع النصوص Text Type Theory لا نعنى هنا بتقديم مراجعة شاملة لأدبيات هذه النظرية، ولكننا نمحص القول فيما يناسب أهداف الدراسة. هدف نظرية أنواع النصوص تكثيف خواص البنية اللغوية وأنماط الوظائف الاتصالية التى يغلب ارتباطها بنوع نصى بعينه مقارناً بسائر الأنواع الأخرى. الهدف من تصنيف النصوص إلى أنواع محددة هو دائماً اختصار العدد غير المتناهى من نصوص حقيقية إلى أنماط كبرى قابلة للتحديد والتحليل.

كان للاتجاه الموجه إلى النظام اللغوى من منظور بنائى، لا سيما من منظور الملامح النحوية، إسهامه فى نظرية النص. كانت نقاط التركيز فيه مختلفة: طرق توزيع الأزمنة فى النص، وطرق استخدام العناصر الإشارية، وطرق الربط الإحالى إلخ. بيد أن كثيراً من الإسهامات اللاحقة فى نظرية النص قد أثبتت عجز البحوث البنائية الموجهة إلى النظام اللغوى وحده عن أن تمدنا بوسائل كافية لتصنيف مناسب للنصوص من حيث هى واقعات فى سياق التفاعل الاتصالى. لقد لوحظ أن النص الواحد يمكن أن يشتمل على أكثر من نوع نصى واحد، وهو ما يوجب أن يتحلى نموذج "نوع النص" بصلاحيته لأداء أفعال لغوية معقدة ذات ارتباطات بالعلامات السياقية–الموقفية، والعلامات الوظيفية– الاتصالية، والعلامات البنائية النحوية والموضوعية جميعاً[1].

ويحدد برنكر Brinker ثلاثة معايير للتمييز بين أنواع النصوص فى علم اللغة النصى:

١ـ الوظيفة النصية معياراً أساسياً: ويقود هذا المعيار إلى التمييز بين أنواع نصية خمسة: إخبارية (كالخبر والتقرير)، وطلبية (كالقانون والطلب)، والتزامية (كالعقد والضمان)، واتصالية (كالإعراب عن شكر)، وإقرارية (كالوصية).

لوحظ أن هذه الأنواع المحددة فى إطار وظيفة النص واسعة جداً، ويمكن أن توزع على نحو آخر إلى أنواع أكبر.

المعايير السياقية: وتجرى على مستوى الوصف الموقفى الذى يضم مقولتى "شكل الاتصال Kommunikationsform" و "مجال الفعل Handlungsbereich". ويحدد الموقف الاتصالى من خلال الوسيط الذى تنقل عبره النصوص. ويميز هنا بين خمسة وسائط: الاتصال المباشر (وجهاً لوجه) والاتصال الهاتفى، والاتصال الإذاعى، والاتصال التليفزيونى، والاتصال المكتوب.

تؤسس العلامات الموقفية التى تخص كل وسيط على حدة أنواعاً للاتصال، من أهمها: المحادثة المباشرة (وجهاً لوجه)، والمحادثة الهاتفية، والإرسال التليفزيونى، والرسالة، والمقالة الصحفية أو الكتاب.

٢- المعايير البنائية: وتتخذ فى الجانب البنائى المقولتين الموضوعيتين: "موضوع النص Text thema" و " الشكل الذى يظهر فيه الموضوع Form der Themenentfaltung" أساسين للتمييز بين أنواع النصوص:

(أ) **موضوع النص**: ويشتمل على التركيز الزمنى للموضوع، وهو ما يعرف باسم "التوجه الزمنى": ما قبل الكلام، وزمن الكلام، وما بعد زمن الكلام. مثال ذلك الأنواع النصية: الخبر، والبروتوكول ونحوهما. ويشتمل موضوع النص أيضاً على "التوجه المكانى"؛ أى العلاقة بين المرسل والمستقبل، الموضوع:

الموضوع = المرسل

الموضوع = المستقبل

الموضوع = ما يستثنى منه شركاء الاتصال . ومثال ذلك: التعليق الصحفى.

(ب) **الشكل الذى يظهر فيه الموضوع**: ويميز هنا بين النص الوصفى، والنص السردى، والنص الحجاجى (أو الجدلي). هذه الأشكال الكبرى التى تظهر فيها الموضوعات وثيقة الصلة بوظائفها النصية[٢].

إذا ميزنا بين الأنواع النصية الثلاثة: الوصفية، والسردية، والحجاجية، على أساس مفهوم "مراكز الضبط Control Centers فى عالم النص، كما فعل دو بوجراند، لرأينا أن مراكز الضبط فى النصوص الوصفية Descriptive هى-فى معظمها- تصورات للشئ والموقف. وهى فى النصوص السردية Narrative تصورات الحدث والعمل، وهى فى النصوص الحجاجية Argumentative قضايا كاملة تنسب إليها قيم صدق وأسباب لاعتقاد كونها حقائق. ويغلب أن يكون هنالك تعارض بين القضايا التى تتصادم فيها القيمة لكونها موصوفة بالصدق truth assignment[٣].

لقد كان من أهم العلل التى أمسكت بها الإسهامات الأولى فى نظرية أنواع النصوص: أن كل نظرية تبحث عن القواعد التى تحكم نصاً بعينه، وتنظر هل هى قواعد يختص بها هذا النوع، أم أنها قواعد مشتركة. ومن أهم تلك العلل أن كلا من علوم اللغة وعلم الأدب معنى بمشكل تحديد أنـواع النصوص. ومن ثم، ينهض السؤال عن إمكانيات إسهام المعايير اللغوية فى ظل ذلك المشكل[٤].

(ب) الحجاج والنص الحجاجى

فى علم اللغة النصى والنظرية الحجاجية المعاصرة عرف الحجاج من زوايا شتى: السمات الموضوعية العامة، أو البنى اللغوية المميزة، أو الغرض البلاغى والوظيفة الاتصالية، أو التقاط سمة أولية مائزة، إلخ. تطول القائمة بالتعريفات إن مضينا مع أدبيات علم اللغة النصى والنظرية الحجاجية، حتى نراها تدنو كثيراً من جوهر الحجاج تارة وتنأى عنه قليلاً تارة أخرى. من أهم التعريفات التى نراها أدنى من غيرها إلى جوهر الحجاج ما يلى:

الحجاج عند أندرسين Andersen ودوفر Dover طريقة لاستخدام التحليل العقلى والدعاوى المنطقية، وغرضها حل المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة والتأثير فى وجهات النظر والسلوك[٥].

كون الحجاج طريقة من التحليل والتعليل يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين مما تبنى عليه تعريفات أخرى عدة، نـراها عنـد روبـرت هوبـر R. Huber[٦]، وعند كل من ماكبورنى McBurney وميلز Mills[٧]،وعند كل من فيشر Fisher وسايلز Sayles[٨] وغيرهم.

٢- والحجاج عند بيريلمان Perelman وتيتكا Tyteca طائفة من تقنيات الخطاب التى تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التى تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة[٩].

والاستمالة أو الموالاة Adherence هى العنصر الأهم الذى بنيت عليه تعريفات أخرى، من أهمها تعريف ريك Rieke وسيلارز Sillars. يعرف هذان الباحثان الحجاج بأنه عملية عرض دعاوى تتضارب فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعامات المناسبة بغية الحصول على الموالاة لإحدى تلك الدعاوى [١٠].

٣- وتبرز تعريفات أخرى كون الحجاج فعلاً لغوياً أو عملية اتصالية أو جنساً من خطاب تفاعلى مع إبراز أهم مكوناته، على نحو ما نجد فى تعريف أوتس ماس Utz Maas. وديبورا شيفرين Deborah Schiffrin، وكل من هاينمان Heinemann وفيفيجر Viehweger:

فالحجاج عند ماس سياق من الفعل اللغوى Handlungszusammenhang تعرض فيه فرضيات (أو مقدمات) وإدعاءات مختلف فى شأنها. هذه الفرضيات المقدمة فى ذلك الموقف الحجاجى هى مشكل الفعل اللغوى [١١].

والحجاج عند شيفرين جنس من الخطاب، تبنى فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصة، فى الوقت نفسه، الذى ينقضون فيه دعامة موقف خصومهم[١٢].

والحجاج عند كل من هاينمان وفيفيجر عملية اتصالية، هى كل ضرب من ضروب عرض البرهان الذى يعلل الفرضيات والدوافع والاهتمامات[١٣].

تلك نماذج من أهم تعريفات الحجاج، دارت حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى. خلاصة تلك التعريفات: أن الحجاج جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات. عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً، قاصداً إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير فى موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية.

فى ضوء التعريفات السالفة يمكن تحديد الملامح الأولية لطراز النص الحجاجى فيما يلى:

١- العلاقة بين أجزاء النص الحجاجى علاقة منطقية logical أكثر من كونها علاقة تصورية perceptual كما هى الحال فى النص غير الحجاجى.

ويقصد بالعلاقة التصورية تلك التى تصدر عن تجربة محددة مقيدة بزمن التصور وبحدث التصور. والعلاقة المنطقية علاقة استنباطية invented غالباً، فى مقابل العلاقة التصورية المباشرة غالباً فى النص غير الحجاجي[١٤].

يبين وليم برانت William Brandt ذلك بأن جوهر الحجاج إنشاء رابطة مقنعة بين عبارتين، ومن ثم يعتمد النص الحجاجى اعتماداً كبيراً جداً على بنية أساسية عند عالم المنطق، وهى بنية القياس المنطقى. وفى الحجاج يرى الحكم على نتيجة القياس حكماً على الحجج المقدمة- من حيث هى علاقة بين منطوقات تعبر عن قضايا محددة- بأنها صالحة أو فاسدة. لا حكماً عليها بالصواب أو الخطأ[١٥].

٢- يبنى النص الحجاجى- فى شكله الرئيسي- على مكونات ستة، هى: الدعوى (أو النتيجة) Claim، والمقدمات أو تقرير المعطيات Assertion of Data والتبرير Warrant، والدعامة Support، ومؤشر الحال Qualifier، والتحفظات أو الاحتياطات Reservations:

الدعوى نتيجة الحجاج. هى مقولة تستهدف استمالة الآخرين. تذكر الدعوى صراحة، وقد تُضمَّن.

والمقدمات تقرير يصنعه المجادل عن أشخاص أو أحوال أو أحداث. وينبغى للمقدمات أن ترتبط بالدعوى ارتباطاً منطقياً، حتى تصلح لتدعيمها.

والتبرير بيان للمبدأ العام الذى يبرهن على صلاحية الدعوى وفقاً لعلاقتها بالمقدمات.

والدعامة كل ما يقدمه المجادل من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيم إلخ، حتى يجعل المقدمات والتبريرات أقوى مصداقية عند المستقبل.

ومؤشر الحال كل ما يقدم من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض الدعاوى للتطبيق، نحو: من الممكن، من المحتمل، على الأرجح إلخ.

والتحفظات هى الأساس الذى ينهض عليه الحكم بعدم مقبولية الدعوى[١٦].

٣- النص الحجاجى نص تقويمى. والقيمة مفهوم يستنبط مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تشيده المجادلات. والقيم - مع الدليل ومصادر معقولية الأشياء - تكون المادة التفاعلية التى يقدر بها الناس الحجاج الذى يستحق منهم الموالاة[١٧]. والقيم من أهم المفاهيم التى يبنى عليها النص الحجاجى عند كل من دو بوجراند de Beaugrande ودرسلر Dresler. ومن المفاهيم الأخرى: العلة، والمعارضة. النص الحجاجي- فى نظر هذين الباحثين- نص موظف لتقوية القبول أو تقويم معتقدات وأفكار[١٨].

(ج) الحجاج والإقناع

يعرف توماس شايدل Thomas Scheidel الإقناع بأنه محاولة واعية للتأثير فى السلوك[١٩]. ويرى أوستين فريلى Austin Frely الحجاج والإقناع جزءين من عملية واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا فى التوكيد Emphasis. يولى الحجاج الدعاوى المنطقية أهمية خاصة. ولكنه يجعل من اختصاصه أيضاً الدعاوى الأخلاقية والعاطفية. أما الإقناع، فإنه ينعكس على التوكيد الذى يبطل ضده[٢٠].

فى مقابل ذلك يرى كل من هوارد مارتين Howard Martin وكينيث أندرسين Kenneth Andersen أن كل اتصال هدفه الإقناع، وذلك أنه يبحث عن تحصيل رد فعل على أفكار القائم بالاتصال [٢١]. يبدو أن هذين الباحثين يعنيان بالإقناع هنا معناه العام، وليس الإقناع الحجاجى الذى يصدر عن وسائل منطقية ولغوية خاصة. يمكن توضيح هذه المسألة بالنظر فى نصوص الخطابة العربية. يكون النص الخطابى نصاً إقناعياً، ولكنه ليس نصاً حجاجياً بالضرورة؛ لأنه لا يعبر بالضرورة عن قضية خلافية. يعنى هذا أن كل نص حجاجى نص إقناعى، وليس كل نص إقناعى نصاً حجاجياً. يرتبط الإقناع بالحجاج إذن ارتباط النص بوظيفته الجوهرية اللازمة فى محيط أنواع نصية أخرى كالوصفيات والسرديات.

(د) الحجاج عند العرب

وهو الحجاج والاحتجاج والجدل والجدال والمجادلة. يضرب الحجاج بجذور قوية فى الخطاب العربى. فضلاً عن الدور المهم الذى لعبه الحجاج فى الحياة العقدية والسياسية فى البيئة العربية الإسلامية، وفضلاً عن اعتماد البنية الحجاجية فى الخطاب العلمى البلاغى، على نحو ما نرى فى دفاع عبد القاهر الجرجانى (ت٤٧١هـ) عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بفكرة النظم، مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة[٢٢]. فضلاً عن كل ذلك، شغل الحجاج بعض القدماء جنساً خاصاً من الخطاب. يمكن أن نقف هنا على محاولتين مهمتين فى دراسة الحجاج لكل من أبى الحسين إسحق بن وهب (ت ٣٣٧هـ) وحازم القرطاجنى (ت٦٨٤هـ).

يمكن تصنيف خلاصة فكر ابن وهب فى "الجدل والمجادلة" فى النقاط الرئيسية التالية:

١- قدم ابن وهب تعريفاً دقيقاً للجدل والمجادلة، وضع فيه يده على مقصد الجدل ووقوعه فى مسائل خلافية: "وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل فى المذاهب والديانات، وفى الحقوق والخصومات، والتنصل فى الاعتذارات"[٢٣].

٢- الجدل- فيما يفهم من كلام ابن وهب- خطاب تعليلى إقناعى: فالجدل إنما يقع فى العلة من بين سائر الأشياء المسئول عنها[٢٤]. وينبغى للمجيب إن سئل أن يقنع، وأن يكون إقناعه الإقناع الذى يوجب على السائل القبول. وإذا كان الفلج فى الجدل إظهار الحجة التى تقنع، فالغالب هو الذى يظهر ذلك[٢٥].

٣- إذا كانت مقامات الجدل مقامات اختلافات وخصومات ونحوها، فإن الاعتبار الأخلاقى من أوجب ما توجبه تلك المقامات، بل هو أوجبها. وليس التمييز بين جدل محمود وجدل مذموم- فيما نفهم من كلام ابن وهب- إلا تمييزاً ينظر فيه إلى حضور هذا الاعتبار أو غيابه. الجدل المحمود ما قصد به الحق واستعمل فيه الصدق. والجدل المذموم ما أريد به المماراة والغلبة، وطلب به الرياء والسمعة[٢٦]. إذا كان القصد هو الحق والصواب، وجب على المجادل "ألا تحمله قوة إن وجدها فى نفسه، ، وصحة فى تمييزه، وجودة خاطره، وحسن بديهته، وبيان عارضته، وثبات حجته، على أن يشرع فى إثبات الشئ ونقضه، ويشرع فى الاحتجاج له ولضده، فإن ذلك مما يذهب ببهاء علمه، ويطفئ نور بهجته، وينسبه به أهل الدين والورع إلى الإلحاد وقلة الأمانة"[٢٧].

والحق أن كثيراً مما اشترطه ابن وهب فى "أدب الجدل" ينبغى له أن يعزى إلى ذلك الاعتبار الأخلاقى. ومن أهم ما اشترطه:

(أ) أن يحلم المجادل عما يسمع من الأذى والنبز.

(ب) ألا يعجب برأيه وما تسوله له نفسه، حتى يفضى بذلك إلى نصحائه.

(ج) أن يكون منصفاً غير مكابر، لأنه إنما يطلب الإنصاف من خصمه، ويقصده بقوله وحجته.

(د) ألا يستصغر خصمه ولا يتهاون به، وإن كان الخصم صغير المحل فى الجدال[٢٨].

٤- مما ذكره ابن وهب فى مبحثى "الجدل والمجادلة" و"أدب الجدل" ما يمكن أن ينظر إليه الآن من منظور "الاستراتيجيات الاتصالية الحجاجية". من أهم ذلك:

(أ) أن يبنى المجادل مقدماته مما يوافق الخصم عليه[٢٩].

(ب)أن يصرف همته إلى حفظ النكت التى تمر فى كلام خصمه مما يبنى منها مقدماته، وينتج منها نتائجه، ويصحح ذلك فى نفسه، ، ولا يشغل قلبه بتحفظ جميع كلام خصمه فإنه متى اشتغل بذلك أضاع ما هو أحوج إليه منه [٣٠].

(ج) ألا يقبل قولاً إلا بحجة، ولا يرده إلا لعلة[٣١].

(د) ألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، ولا يبادر بالجواب قبل تدبره، واستعمال الروية فيه[٣٢].

(هـ) ألا يشغب إذا شاغبه صاحبه، ولا يرد عليه إذا أربى فى كلامه، بل يستعمل الهدوء والوقار، ويقصد مع ذلك لوضع الحجة فى موضعها؛ فإن ذلك أغلظ على خصمه من السب[٣٣].

(و) أن يخاطب الناس بما يعهدون ويفهمون، فلا يخرج فى خطابهم عما توجبه أوضاع الكلام [٣٤].

٥- قول ابن وهب "إن الجدل إنما يقع فى العلة"[٣٥]، مطابق لما تقول به النظرية الحجاجية المعاصرة. فى هذه النظرية الكائنات البشرية صانعة علة Reason-Makers ومستخدمة علة Reason-Users. الوقوف على كيفية صناعة الناس العلل واستخدامها هو الوسيلة الضرورية

لبيان عملية تطوير الدعاوى ومنح الموالاة. وإذا كانت العلة في جوهرها هي ما يقدم رداً على السؤال "لماذا"، فإن العلة المقنعة هي العلة في أن المستمع يمنح موالاته[٣٦].

أما حازم القرطاجني (ت٦٨٤ هـ)، فإن أهم ما يمكن أن يستخرج من نظريته العامة في "التخيل والإقناع" موصولاً بموضوعنا، الأمران التاليان:

١ – تمييزه بين جهتين للكلام.

٢ – تمييزه بين طريقتين لإقناع الخصم.

في تمييزه بين جهتين للكلام يقول حازم: "لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال "[٣٧].

لعل لفظ "الجهة" يعني– في سياقه– طريقة إظهار الموضوع. ولعل تمييز حازم بين الإخبار والاقتصاص وبين الاحتجاج والاستدلال، يعدل ما رأيناه في نظرية أنواع النصوص من تمييز بين النوعين السردي والحجاجي.

أما "التمويهات والاستدراجات"، فهي من الاستراتيجيات الحجاجية المهمة. لم يكن حازم أول من فطن إلى هذا الاستدراج. كان ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) قد سبق إلى استخراج هذه الاستراتيجية من النص القرآني. الاستدراج عند ابن الأثير "مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال" [٣٨]. وهو عنده "استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم"[٣٩].

إضافة حازم في ربطه التمويهات والاستدراجات بالطبع والحنكة معاً من ناحية، وفي تمييزه بين التمويهات والاستدراجات من ناحية أخرى: يقول حازم: "التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شئ ما أنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها"[٤٠].

وفي تمييزه بين هاتين الاستراتيجيتين يقول حازم: "التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه، أو باطبائه إياه لنفسه، ، وإحراجه على خصمه، حتى يصير بذلك كلامه مقبولاً عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول"[٤١].

جدير بالإشارة هنا أن باسل حاتم كان قد وقف على استراتيجية في الحجاج المضاد Counter argumentation تعرف في التقليد البلاغي الغربي باسم "لعبة الولاء الكاذب Strawman Gambit"؛ وذلك من خلال ما ذكره ابن وهب (وإن كان باسل حاتم قد نسب كلام ابن وهب خطأ إلى قدامة بن جعفر) في قوله: وحق الجدل أن تبني مقدماته بما يوافق الخصم عليه ". يقول باسل حاتم: "لما كان قصد المجادل هو أن يقود خصمه إلى قبول الدليل المطروح، فإن عرض الدليل الذي يؤخذ من قول الخصم نفسه، سوف يصبح — على نحو مؤكد — الطريقة الأعظم تأثيراً في إنجاز غايات المجادل يعني المؤلف بالإشارة أن ذكر كلام الخصم، ليس بخلو جملة من دوافع خفية: فمنتج النص يذكر كلام خصمه على نحو لا يفضح اعتقاده الراسخ فضحاً شديداً، حتى يجعل دفاع الخصم اللاحق عن موضوعه غير مؤثر. من ثمّ، يعرض محتوى الاقتباس من قوله في جو من الرفض المراوغ. حتى يفضح ثرثرته الفكرية"[٤٢].

٢ـ النصوص المختارة ومكونات البنية الحجاجية

تبنى الدراسة التطبيقية التالية على سبعة عشر نصاً حجاجياً: خمسة نصوص قديمة والأخرى من العصر الحديث. تختلف هذه النصوص في موضوعات الحجاج: موضوعات اجتماعية ومكاتبات رسمية، وموضوعات دينية، وفكرية، وأدبية، وسياسية. ومن تلك النصوص ما تمتزج

فيها الموضوعات وتتداخل، كالحجاج السياسى من منظورات دينية. أصحاب تلك النصوص مختلفون فى أساليبهم ومشاربهم الثقافية ومنطلقاتهم الفكرية. يعطى ذلك كله فرصة أكبر لاستقاء معلومات أوفر عن تفاوت البنى الحجاجية بين تلك النصوص على نحو أو آخر، كما يفسح المجال لاستكشاف الوسائل المختلفة التى توسلت بها للإقناع والاستمالة.

وفيما يلى توصيف عام للنصوص المختارة ومكوناتها الحجاجية:

١- من قصة الكندى: احتجاج الكندى لبخله (من قوله: تسمون من منع المال- إلى قوله: يجعل حظ الموسر أكثر وإن كان فى كل شئ فوق أصحابه): (كتاب البخلاء للجاحظ ص٧٨-٨١):

الدعوى (مذكورة): المال لمن حفظه، والحسرة لمن أتلفه، وإنفاقه هو إتلافه.

شكل الحجاج:

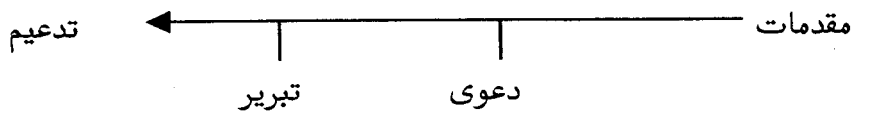

٢-٤ ثلاثة نصوص من رسائل إخوان الصفا:

النص ٢: فى بيان أسباب اختلاف العلماء فى الإمامة (٤/٣٠-٣٤).

الدعوى الرئيسية (مذكورة): جمع محمد ﷺ خصال النبوة وخصال الملك.

شكل الحجاج:

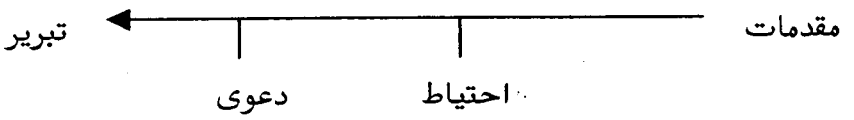

النص ٣: بعض أخلاق الملوك مضادة لخصال النبوة (٤/٣٤).

الدعوى الرئيسية (مذكورة): هى الدعوى السابقة.

شكل الحجاج:

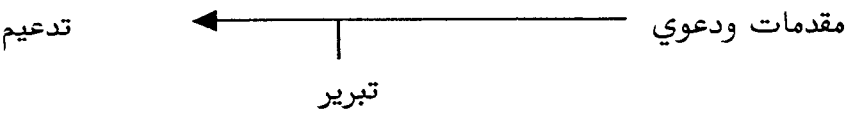

النص ٤: فى مسألة الجبر (٤/٣٥-٣٦).

الدعوى الرئيسية (مذكورة): ليس أحد من المخلوقين بقادر على شئ من الأشياء ولا عمل من الأعمال إلا ما أقدره الله عليه.

شكل الحجاج:

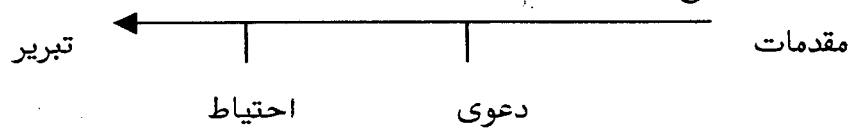

٥- كتاب عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم (جمهرة رسائل العرب ٤/٤١٤- ٤٢٥).

الدعوى (مضمنة): الإخشيد لا تقصر منزلته عن منزلة من يكاتبه: أرمانوس.

شكل الحجاج:

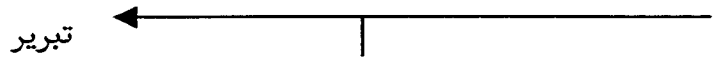

دعوى

٦-٧: نصان لطه حسين من كتابه (حديث الأربعاء، جـ٣):

النص (٦): القديم والجديد (٣/٣١-٣٦).

الدعوى (مذكورة): ليس للقديم أنصار؛ أى أن أنصار القديم ليسوا مخلصين فى نصرهم للقديم، أو أنهم يخدعون أنفسه، م حين يظنون أنهم ينصرونه.

شكل الحجاج:

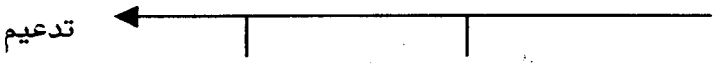

دعوي تبرير

النص (٧): أحسن إلَّى وأنا مولاك (٣/١٢٥-١٣٠).

الدعوى (مذكورة): فلسفة الرافعى فى الجمال والحب (فى كتابه: "رسائل الأحزان فى فلسفة الجمال والحب") لا تفهم ولا تدل جملتها على شئ.

شكل الحجاج:

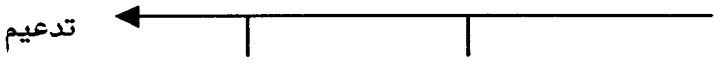

دعوى تبرير

٨-٩: نصان لعباس محمود العقاد من كتابه (الفصول):

النص (٨): الغزل الطبيعى (ص٩٤-١٠١).

الدعوى (مذكورة): العشق فى طبيعته الأولى بعيد عن الرفق والسلاسة.

شكل الحجاج:

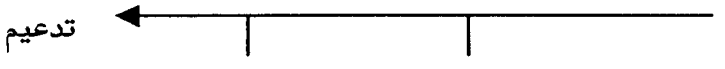

دعوي تبرير

النص (٩): الأدب العصرى (ص١٠١-١٠٨)

الدعوى (مذكورة): التقدم فى الأدب تقدم فى الإحساس بالأشياء على ما هى عليه.

شكل الحجاج:

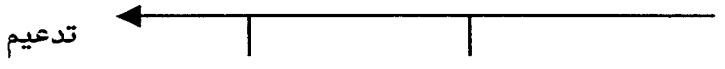

دعوى تبرير

١٠-١١: نصان لإبراهيم عبد القادر المازنى من كتابه (حصاد الهشيم):

النص (١٠): الأدب ينهض فى عصور المشادة لا عصور اللين والأمن (ص٤٧-٥١).

الدعوى (مضمنة): العنوان السابق، هو الدعوى المضمنة والتى استخرجها الكاتب بنفسه، عنوانا لمقاله.

شكل الحجاج:

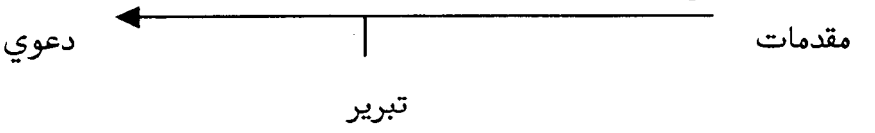

النص (١١): القدماء والمحدثون (٢٢٣-٢٢٩).

الدعوى (مضمنة): القدماء يتميزون بالبساطة.

شكل الحجاج:

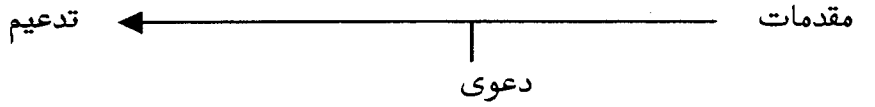

١٢-١٣: نصان لخالد محمد خالد من كتابه (دفاع عن الديمقراطية):

النص (١٢): تجربتنا مع الديمقراطية. (ص٣٠-٤١).

الدعوى (مضمنة): كان للديمقراطية وجود فى بلادنا قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

شكل الحجاج:

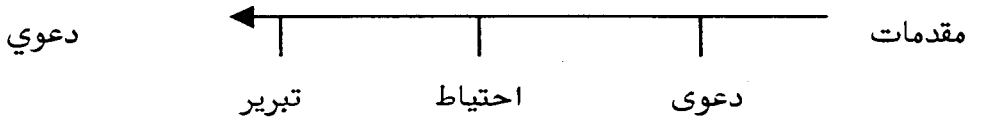

النص (١٣): قضية تنتظر الفهم الصحيح (ص١٧٥-١٨٩).

الدعوى (مذكورة): الإسلام دين ودولة.

شكل الحجاج:

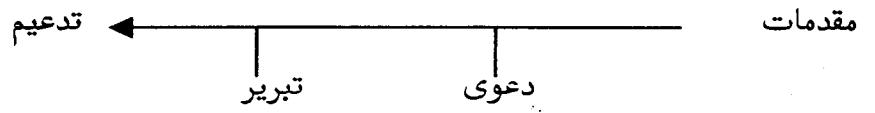

١٤-١٥: نصان لمحمد زكى عبد القادر من كتابه (الله فى الإنسان):

النص (١٤): التعدد فى حياة الإنسان (ص١١-١٥).

الدعوى (مذكورة): حياة الإنسان عملية معقدة متعددة.

شكل الحجاج:

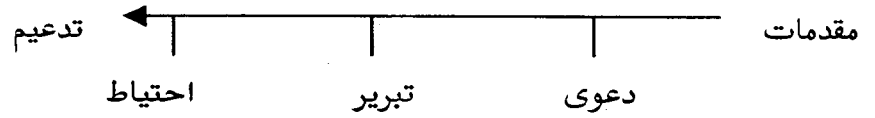

النص (١٥): من الألم ينبع كل شئ عظيم (ص١٤٨-١٥٣).

الدعوى (مذكورة): من الألم ينبع كل شئ عظيم.

شكل الحجاج:

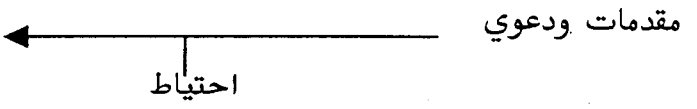

١٦-١٧ : نصان للدكتور مصطفى محمود:

النص (١٦): الحب القديم (من كتابه "الإسلام فى خندق" ص٧-١٣).

الدعوى (مذكورة): الدين — فى حقيقته — هو الحب القديم الذى جئنا به إلى الدنيا.

شكل الحجاج:

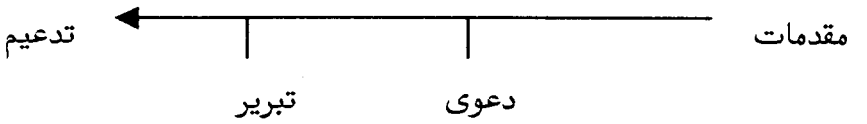

النص (١٧): أنشودة الأمل (من كتابه "كلمة السر" ص١٥-١٩).

الدعوى (مذكورة): الدنيا لم تعد هى الدنيا ولا الناس هم الناس.

شكل الحجاج:

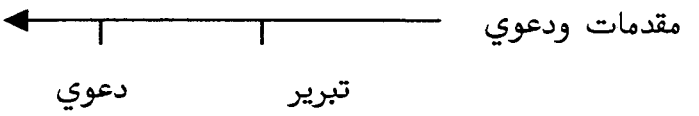

تأمل النصوص المختارة وأشكالها الحجاجية يتيح لنا استنتاج ما يلى:

١- الشكل الأشيع للنص الحجاجى العربى المكتوب هو النص الذى يبدأ بالمقدمات فالدعوى فالتبرير. وربما اقتصر النص على ذلك كما رأينا فى النص الخامس. ولكنه فى أكثر الحالات يتجاوز تلك العناصر الثلاثة إلى التدعيم، وفى حالات غير قليلة يتجاوزها إلى الاحتياط والتدعيم جميعاً.

٢- المألوف أن يبدأ النص الحجاجى بالمقدمات. ولكن يندر جداً أن تشغل الدعوى الموقع المألوف للمقدمات، وهذا ما لم نره إلا فى نصين اثنين: أحدهما قديم لإخوان الصفا (النص٣). والآخر معاصر لمصطفى محمود (النص ١٧).

٣- الشكل الحجاجى الأشيع فى النص العربى هو الشكل التالى:

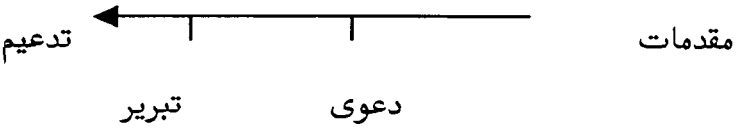

وهو شكل يتسم بالمنطقية التى تعد أس الحركة الحجاجية المتنامية مترابطة العناصر. ترتبط الدعوى منطقياً بالمقدمات. ويحرص الكاتب لجعل خطابه مقنعاً ومستميلاً على التبرير والتعليل. ويستخدم دعامات لا يخفى ثراؤها.

٤- ربما اتخذت الدعوى فى النصوص الحجاجية المعاصرة عنواناً للنص. يعكس هذا — على الأقل — وعى الكاتب القوى بقضيته التى يدافع عنها.

٥- ربما ضمنت الدعوى، ولكنها تذكر فى أكثر الأحيان فى هيئة منطوق واحد أو أكثر.

٦- يبنى النص الحجاجى عادة على دعوى رئيسية واحدة، سواء أكانت مذكورة أم مضمنة. ويلاحظ هنا أن الكاتب يعبر أحياناً عن هذه الدعوى الواحدة فى أكثر من موضع من النص. هذا ما تجده مثلاً فى النص ١٧ (أنشودة الأمل للدكتور/مصطفى محمود). وفى هذا النص ذكرت الدعوى

فى أوله: "الدنيا لم تعد هى الدنيا ولا الناس هم الناس". (كلمة السرص١٥)، ثم ذكرت مرة أخرى بعد التبرير فى تغيير صياغى طفيف: "إنها الدنيا لم تعد هى الدنيا، والناس ما عادوا هم الناس الذين تعرفهم" (كلمة السر ص١٦).

٧- فى أكثر الحالات يلحق الكاتب تبريره بالتدعيم، والتدعيم- فى أكثر الحالات- أدلة منطقية وشواهد وأمثال تدعم صحة الدعوى. الدعوى نتيجة الحجاج. هى المقولة التى تقدم لاستمالة الآخرين . قد تذكر وقد تضمن. هى مقولة شاملة أحياناً، وتكيف درجة عمومها أحياناً أخرى. من عبارات التكييف: من الممكن، من المؤكد إلخ. فى حالات غير قليلة، يدخل الاحتياط إلى الحجاج، حتى يكون أساساً للقول بمقبولية الدعوى أو عدم مقبوليتها. والتبرير إبانة عن المبدأ العام الذى يبرهن على صلاحية الدعوى فى علاقتها بالمقدمات. ويدعم التبرير الدعامة (أو التدعيم). والتدعيم كل مادة يقدمها المجادل ليزيد من تصديق المخاطب لمقدماته وتبريره؛ ومن ذلك — كما أشرت- الأدلة المنطقية، والشواهد الخاصة، والإحصاءات إلخ. وغنى عن البيان أن مقدمات الحجاج مكون أساسى، من حيث إنها تقريرات عن أناس، أو أحوال، أو أفعال. وينبغى لها أن تصلح لبلوغ الدعوى.

٨- قد تتفرع عن الدعوى الرئيسة دعوى ثانوية. فى النص١٥ ("من الألم ينبع كل شئ عظيم" لمحمد زكى عبد القادر) تفرعت عن الدعوى الرئيسة دعوى أخرى ثانوية هى قول الكاتب: "للألم إذن فى حياتنا معنى وقيمة" (ص١٥٢). وهى دعوى ثانوية لسببين: (أحدهما) أن التبرير فى النص ينصرف إلى الدعوى الرئيسة.

و(الآخر) أن محور الدعوى الثانوية هو نفسه، محور الدعوى الرئيسة، وهو "قيمة الألم". لو لم تكن الدعوى الرئيسية": " من الألم ينبع كل شئ عظيم"، ما كانت الدعوى الثانوية "للألم فى حياتنا معنى وقيمة".

٩- إثبات الكاتب صحة رأيه أو معتقده بإزاء رأى الآخر أو معتقده وسيلته للتدعيم. وللتدعيم وجوه ثلاثة: التدعيم بالدليل Evidence، والتدعيم بالقيمة Value، والتدعيم بالمصداقيةCredibility .

(أولاً) التدعيم بالدليل: موقف الحجاج الأبسط والأشيع هو — كما يذكر ريك وسيلارز — تقديم إفادة Statement تحظى بموالاة المخاطب. وربما طور المخاطب الحجاج بسؤال أو بدعوى مضادة:

- المتكلم: لا تخف هنا على سيارتك!
  المخاطب: ولماذا؟
- المتكلم: الجو حار اليوم!
  المخاطب: لكنه ليس حاراً كالأمس[٤٢].

ولكن الكاتب يطور حجاجه بإضافة مادة مدعمة لدعواه على نحو يجعل القارئ موالياً لتلك الدعوى، وهو ما يسمى بالدليل.

فى النص الحجاجى العربى، نرى للمادة المدعمة أو الدليل أنماطاً شتى، من أهمها:

(أ)أدلة تاريخية: وهى من التاريخ الأدبى فى حجاج أدبى المحور (كما نرى فى نصى المازني).

(ب) شواهد خاصة: وذلك كأحدوثة "الخرسوس" التى يرويها طه حسين (فى مقاله: القديم والجديد ص٣٢) عن الشيخ المهدى، وكان يخاطب بائع الشراب بما لا يفهمه. أراد طه حسين الاستدلال بهذه الأحدوثة على ما يقع فيه بعض أنصار القديم من تكلف لغة لا تناسب عصرهم.

وهناك نوع خاص من الشواهد الخاصة، يسميه ريك وسيلارز باسم "المثال الإفتراضى أو النظري Hypothetical example". وهو الذى يستخدم عندما لا تصلح الأمثلة الحقيقية real examples[٤٣].

لعل من هذا النوع ما نجده عند طه حسين بخاصة. وأسوق نموذجاً على ذلك قوله فى سياق تمييزه للرافعى بين النقد والثناء الخالص: "كن عاقلاً، واعلم أن الثناء الخالص الذى لا يشوبه النقد، إنما هو كالماء أذيب فيه كثير من السكر، وتوشك إن أسرفت في شربه أن يأخذك الغثيان. وخير لك وأصلح لصحتك أن تضيف إلى هذا الماء والسكر عنصراً ثالثا يحول بينك وبين القئ. فما كان لك ولا للناس نفع قليل أو كثير فى أن تقئ لهم من حين إلى حين رسائل أحزان أو شيئاً يشبه رسائل أحزان"[٤٤].

ويعى كاتب الحجاج أثر الشواهد والأقيسة وضرب الأمثال فى دعم دعواه. وهو يعبر عن ذلك تعبيراً فى حالات غير قليلة. من النصوص المختارة ما نرى فيها ذلك؛ كقول إخوان الصفا: "وعلى هذا القياس "[٤٥]، أو "وعلى هذا المثال "[٤٦]. ومن ذلك أيضاً قول المازنى: "والآن، فلنسق لك الأمثال لتوضيح ما نعنى"[٤٧].

جدير بالإشارة أن بعض القدماء قد التفتوا إلى علاقة المثل بالحجاج، ومنهم ابن وهب. يقول ابن وهب عن ضرب الحكماء والعلماء والأدباء للأمثال: "وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها"[٤٨]. ويقول: "المثل مقرون بالحجة"[٤٩].

ويشرح مقولته هكذا: "ألا ترى أن الله – عز وجل– لو قال لعباده: "إنى لا أشرك أحداً من خلائقى فى ملكى، لكان ذلك قولاً محتاجاً إلى أن يدل على العلة فيه. ووجه الحكمة فى استعماله، فلما قال: (**ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم**" ((الروم ٢٨) كانت الحجة من تعارفهم مقرونة بما أراد أن يخبرهم به من أنه لا شريك له فى ملكه من خلقه؛ لأنهم عالمون بأنهم لا يقرون أحداً من عبيدهم على أن يكون فيما ملكوه مثلهم، بل يأنفون من ذلك ويدفعونه، فالله–عز وجل– أولى بأن يتعالى عن ذلك"[٥٠].

(ب) التدعيم بالقيمة: والقيمة مفهوم يستخرج مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تبنيه المجادلات. فى ضوء دراسة ريك وسيلارز للتدعيم بالقيمة، يمكن أن نرى الملامح التالية للتدعيم بالقيمة فى الخطاب الحجاجى العربى:

(أولاً) القيمة معيار للقول بالجودة أو الرداءة. قد تذكر القيمة، وقد تضمن، ولكن تضمينها يقع فى حالات كثيرة جداً:

- من تضمين القيمة عند تدعيم التعليل، ما نراه فى غير موضع من نصوص طه حسين بخاصة، كقوله: "وما رأيك فى رجل يفلسف فى الجمال والحب، أى يضع نفسه، بين الفلاسفة، بل بين كبار الفلاسفة. فلم يفلسف منهم فى الجمال والحب إلا قليل. ثم لا تمنعه فلسفته أن يكون طفلاً، فيتحدانى ويطلب إلىّ أن أكتب كتاباً ككتابه، أو كفصل من كتابه، أستغفر الله"[٥١].

يعول الكاتب فى تدعيمه هنا على قيمة صدق الكاتب/ الإنسان مع نفسه، فى الفعل، وهو يعتمد على قدرة المخاطب على تعيين هذه القيمة المضمنة من خلال سياق الحجاج السابق.

- ومن التصريح بالقيمة قول خالد محمد خالد: "ولا جدال فى أن قضايا السياسة ومشكلاتها ومتطلباتها فى الذروة من دواعى الاهتمام وحوافز المشاركة. فأى مسلم يعطى لهذه

الاهتمامات ولتلك المشاركة ظهره يكون قد حق عليه قول الرسول الكريم "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"[٥٢].

القيمة المصرح بها هنا هى قيمة اهتمام المسلم الحقيقي بقضايا السياسة، وهى وسيلة الكاتب فى تدعيم تبريره دعوى كون السياسة فى الإسلام عبادة.

(ثانياً): تحدد النظرية الحجاجية المعاصرة للقيمة نمطين اثنين: القيمة الوسيلة instrumental value والقيمة الغاية terminal value . الأولى تضع إفادة عما هو ذو قيمة. والأخرى توجه الناس إلى الوضع الذى يتغياه المتكلم[٥٣].

يبدو من تأمل عينات الدراسة أن خطاب الحجاج العربى يميل إلى القيمة الغاية ميلاً أقوى. وهذا أمر مهم؛ وذاك أن القيمة الغاية أقوى تأثيراً فى الحصول على مستوى من الموالاة adherenceيجعل المستقبلين يغيرون من سلوكهم.

من النمط الأول قول العقاد: "ونعتقد أنه ليس أعون لنا على فهم طبيعة العشق الصادق من الالتفات إلى نقطة واحدة: وهي علة استئثار الرجل بالغزل دون المرأة"[٥٤]. ومن النمط الثانى قوله: "وإنما الحرى بأن يدعى تقدماً مثمراً التقدم فى الإحساس بالأشياء على ما هى عليه"[٥٥].

(ثالثاً): يعتمد خطاب الحجاج العربى فى تدعيم التبرير اعتماداً جوهرياً على القيم التى يكون فيها تمسك الناس بها قوياً أو التى تتسم بالشمولية بسبب موالاة كثير من الناس لها. مثال ذلك "قيمة التغير" التى يعتمد عليها طه حسين فى قضية "القديم والجديد"، أو "قيمة الجمع فى الإسلام بين الدين والدولة" التى اعتمد عليها خالد محمد خالد فى دفاعه عن الديمقراطية، وهى قيمة تكسب موالاة نسبة كبرى من الناس، أو "قيمة الحب" التى اعتمد عليها مصطفى محمود فى الكشف عن المفهوم الحقيقى — من وجهة نظره — للدين.

القوة والشمولية من العوامل المساعدة على تعيين القيم السائدة فى حضارة أو مجتمع. فى خطاب الحجاج العربى، نرى عاملاً آخر مهماً؛ هو منزلة الأشخاص الذين يدعمون هذه القيمة أو تلك. إن اقتناع القارئ وإعطاءه موالاته لمثل قول مصطفى محمود: "وأرى أننا مطالبون اليوم أكثر من أى يوم مضى بالعودة إلى روح الإسلام وإلى نبعه الشامل إلى فضائل الحب والرحمة والمودة والتقوى وسعة الصدر مع الخصوم "[٥٦]. الاقتناع والموالاة يعتمدان على منزلة الشخصية التى تدعم قيمة ما تطالب به الناس، خاصة أنها صادقة فى مطالبتها، وأنها بريئة فيما تطالب به من أى نفع أو مصلحة خاصة.

(جـ) التدعيم بالمصداقية: والمصداقية عامل مهم فى الحجاج. فى ضوء تحديد ريك وسيلارز لأنواع المصداقية[٥٧]،يمكننا أن نستنبط من نصوصنا الحجاجية المختارة ما يلى:

(أولاً): قلما يلجأ الكاتب إلى المصداقية المباشرة؛ وذلك أنه قلما يقدم عن نفسه، إفادات مباشرة قصد زيادة قابليته للتصديق، إنما يصرف همه– فى المقام الأول– لالتماس العلل المقنعة. كان أكثر كتاب عينات الدراسة اعتماداً على المصداقية المباشرة طه حسين وخالد محمد خالد. يؤكد طه حسين للرافعى نزاهته فى نقده قائلاً: "ولقد نقدت الناس من قبل الرافعى فلم أصانعهم ولم أرفق بهم"[٥٨].

ويقول خالد محمد خالد فى سياق احتجاجه لحاجتنا إلى الديمقراطية وترحيب الإسلام بها: "واعلموا يا من تطالعون هذه السطور أنى — والحمد لله — فى هذه القضية بالذات برئ الصدر من الغرض، فلا أنا صاحب حزب، ولا عضو فى حزب، وليس فى نيتى أن أكون كذلك .. ثم وإنى إن مارست السياسة "فكراً" فإنى لا أمارسها "عملاً"، ومن ثم فلا مطمح لى مهما ضؤل فى أن أكون عضواً فى برلمان، ولا عضواً فى وزارة، ولا رجلاً من رجال السياسة، ولا الهواة منهم ولا المحترفين"[٥٩].

(ثانياً): اعتماد الخطاب الحجاجى العربى على المصداقية الثانوية (وهى التى تتأتى من ربط مصداقية شخص آخر بالحجاج) أقوى كثيراً جدا من اعتماده على المصداقية المباشرة. ربما يرجع هذا إلى أن كاتب الحجاج العربى يتجانف عن أن يقدم عن نفسه، إفادات تاركاً ذلك لنص الخطاب وفهم المخاطب.

أمام مصداقية الآخر هنا فجلّها للرسول فى حديثه، أو الحكماء فى أقوالهم (مثل هذا الذى روى عنه محمد زكى عبد القادر أنه لما سئل: من معلمك فى الحياة؟ فقال: الألم"[٦٠]"أو ذوى الخبرة فى شأن؛ كالكندى فى شأن البخل والحرص على المال، حينما استدل إسماعيل بن غزوان بكلامه على حكمته وحضور حجته [٦١].

(ثالثاً): من الطبيعى أن يكون اعتماد الخطاب الحجاجى العربى على المصداقية المباشرة أقوى من الاعتماد على النوعين السابقين جميعاً؛ وذلك أن المصداقية المباشرة تصدر عن تطوير المتكلم حجاجه بطريقة ما تجعله قابلاً لأن يصدق. الكاتب هنا صاحب الحجاج، وهو الذى يطوره بكلام له هو فى الأساس.

(رابعاً): ومما يؤثر فى مصداقية الخطاب ما يعرفه المستقبل عن مصدره. يميل الناس إلى تصديق من يرونهم أكفاء وأمناء. فى ضوء خلاصة بحث المصداقية فى النظرية الحجاجية المعاصرة التى قدمها ريك وسيلارز فى أربع عشرة مسألة، يمكن أن نستنبط من نصوص الدراسة ما يلى:

١- يتمتع أصحاب تلك النصوص جميعاً بكفاءة حجاجية فى صناعة العلل وبأمانة فى عرض موضوع الحجاج.

٢- أصحاب تلك النصوص جميعاً من الرجال. ويلاحظ أن قابلية تصديق الرجال أقوى من قابلية تصديق النساء، يستثنى من هذا بالطبع أن تكون المرأة جذابة جسدياً وعقلياً.

٣- سمعة أصحاب تلك النصوص مناسبة لطبيعة خطابهم الحجاجى، فكل منهم من أهل الاختصاص فى مجال حجاجه الموضوعى.

٤- للإفادات التى قدمها بعضهم عن ذاته، على نحو ما رأينا عند طه حسين وخالد محمد خالد، أثر فى زيادة قابلية تصديقهم.

٥- لا يستطيع مستقبلو تلك النصوص الحكم على سلامة نية أصحابها، ولكن نسيج النصوص اللغوى وسياقاتها التاريخية والحضارية تبرهن على سلامة نية أصحابها؛ فالغاية تعيين الحقيقة —على حسب ما يرونه — أكثر من إحراز نصر على خصم أو معارض.

٦- لا شك أن أصحاب تلك النصوص يستندون فى مصداقيتهم إلى التحقق - إلى حد ما — من كنه قيم قرائهم أو مستمعيهم أو طائفة منهم على الأقل.

٧- مصادر التدليل الأقوى سلطة تزيد من المصداقية. نرى ذلك مثلاً فى المقارنة بين النص القرآنى والمثل.

٨- جودة تنظيم الخطاب تزيد من المصداقية. وهذه السمة مشتركة بين جميع عينات الدراسة، على تفاوت فيما بينها. وهو تفاوت يبدو مثلا من مقارنة نص رسالة الإخشيد بنص لمصطفى محمود.

٩- يبدو أن تدفق العبارة فى نصوص مصطفى محمود مثلاً، وإخراجها فى هيئة صرخات عالية متعاقبة خالية من التكلف أو التأنق فى نظام السبك، تزيد- فيما نري- من مصداقيته.

١٠- وتشترك نصوص الدراسة فى سمة أخرى، هى أنها تبنى جميعاً على لغة غير متعنتة، ولا يظهر فيها تشبث المتكلم برأيه، مما يزيد من مصداقيتها وحركيتها. وتنأى وفرة أساليب القصر

ودوال الاعتقاد فى نصوص كاتب كالعقاد، تنأى — فيما أحسب — عن أن تكون مظهراً لتعنت أو تشبث بالرأى؛ وذلك أنها — بالأحرى — سمة أسلوبية تسمح بها العربية آلية للتعبير عن وثوق المتكلم بمعتقده قبل مستمعيه.

٣ـ وسائل الإقناع

يمكن التمييز بين نوعين من وسائل الإقناع فى النص الحجاجى العربى، وهى: الوسائل المنطقية– الدلالية، والوسائل اللغوية. ولا شك فى أن التفاعل بين تلك الوسائل جميعاً وأنماطها المختلفة فى أداء الوظيفة الإقناعية هو الأمر الطبيعى. وليست معالجة كل نوع منها على حدة إلا قصداً إلى بيان صوره وهيئاته البنائية والدور الخاص الذى يشغله فى تلك الوظيفة العامة.

(أ) الوسائل المنطقية — الدلالية:

العلاقات النصية التى يقيمها سياق النص الحجاجي– من خلال عرضه على مفهوم النص العام — هى علاقات الدعوى أو النتيجة. ويشترط — من المنظور الدلالى — أن يرتبط بمحتوى المقدمات[٦٢]. ويمكن أن نميز فى النص الحجاجى العربى بين الوسائل المنطقية — الدلالية التالية:

أ/١ القياس المنطقي

القياس المنطقى بنية أساسية فى كل خطاب حجاجى، ومن ثم يعيره الباحثون الاهتمام الأكبر. فى البيان الأول من برهان ابن وهب، وهو الاعتبار، يذكر القياس. القياس فى اللغة: التمثيل والتشبيه. ولا يجب القياس إلا عن قول متقدم، فيكون القياس نتيجة ذلك. ربما كان هذا القول فى اللسان العربى مقدمة أو مقدمتين أو أكثر على قدر ما يتجه من أفهام المخاطب. ولا يجب قياس عند المناطقة إلا عن مقدمتين، لإحداهما بالأخرى "تعلق"[٦٣].

ويرى إخوان الصفا أن وضع العقلاء للقياسات يصير داعياً إلى طلب الحجة عند خصمائه، ويكون سبباً لغوص النفوس فى طلب المعانى الدقيقة ووضع القياسات واستخراج النتائج، وتكون سبباً ليقظة النفوس، وانتباهها لها من السهو[٦٤].

أهم ما فى كلام ابن وهب إشارته إلى التعلق بين المقدمتين فى القياس، وارتباط عدد المقدمات بقدر ما يتجه من أفهام المخاطب. أما أهم ما فى كلام إخوان الصفا، فهو أثر القياس فى يقظة النفوس وانتباهها. المخاطب مؤثر فى بنية القياس ومتأثر به فى آن معاً. التعلق بين المقدمات للوصول إلى نتائج والتركيز على المخاطب أو المستمع هما الأمران الأهم فى مبحث القياس المنطقى فى النظرية الحجاجية المعاصرة؛ فالقياس المنطقى Syllogism وسيلة منطقية من وسائل التعليق بين الأقوال Statements . فى القياس المنطقى يصبح أحد القولين مرتبطاً بالآخر عن طريق تعليقهما بقول ثالث يمثل طبقة من الموضوعات أو المفاهيم أعلى من القولين الآخرين. وما ينتج عن ذلك هو "المعادل الحجاجى argumentative equivalent" لما يسمى بـ"الاستدلال deduction " عند المناطقة[٦٥].

يفهم القياس المنطقى فهماً أفضل فى ضوء تأمل كيفية فهم عالم المنطق له. القياس المنطقى التقليدى هكذا:

كل الناس فانون
سقراط إنسان
سقراط فان

لهذه البنية ثلاثة أقوال: الأول المقدمة المنطقية الكبرى major premise والثانى المقدمة المنطقية الصغرى minor premise والثالث النتيجة Conclusion. ليس المعول عليه العدد؛ فلابد لبناء قياس منطقى من وجود تعلق دلالى منطقى بين الأقوال الثلاثة، وذلك بأن تكون المقدمة

الصغرى منضوية تحت الطبقة أو المفهوم الذى تقدمه المقدمة الكبرى، وهو ما يتضح من القياس التقليدى السابق.

وظيفة القياس المنطقى فى الخطاب الحجاجى هى الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب — أى المقدمة الكبرى — إلى ما هو مشكل؛ أى إلى النتيجة. يقول وليم برانت: "إذا لم يقبل المخاطب المقدمة الكبرى كان الحجاج — إذ ذاك — سدى"[٦٦].

يدلنا فحص عينات الدراسة على أن القياس المنطقى من البنى المنطقية- الدلالية المهمة فى النص الحجاجى العربى، ولعله الأهم على الإطلاق.

من أمثلة القياس المنطقى فى تلك العينات ما يلى:

- يقول الكندى فى سياق احتجاجه لبخله: "فالمال لمن حفظه. والحسرة لمن أتلفه. وإنفاقه هو إتلافه، وإن حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللقب"[٦٧].

يمكن تصوير القياس المنطقى فى القطعة السابقة على النحو التالى:

(المقدمة الكبري) : الحسرة لمن أتلف المال.

(المقدمة الصغري) : إنفاق المال هو إتلافه.

(النتيجة): الحسرة لمن أنفق المال.

- ويقول إخوان الصفا فى سياق الاحتجاج للعلاقة بين خصال النبوة والإمامة والملك: "والكلام فى خصال الإمامة قبل معرفة خصال النبوة وقبل معرفة خصال الملك وشرائطه والفرق بينهما كلام على غير أصله. وكل كلام على غير أصل هذيان لا تحقيق له"[٦٨].

يمكن تصوير القياس المنطقى فى القطعة السابقة على النحو التالى:

(المقدمة الكبري) : كل كلام على غير أصل هذيان.

(المقدمة الصغري): الكلام فى خصال الإمامة قبل كلام على غير أصله.

(النتيجة): الكلام فى خصال الإمامة قبل هذيان.

فى النص الحجاجى المعاصر يعتمد الكاتب على القياس المنطقى أحياناً، لا سيما طه حسين. من نماذجه عند طه حسين قوله عن أنصار القديم: "وإذا فهم بين اثنين: إما أن يكونوا صادقين حين يبكون القديم ويحرصون عليه، فهم يحيون حياتهم كارهين ويأخذون بلذاتها ويحتملون آلامها دون أن يكون لهم فى شئ من ذلك رأى. فإن كانوا كذلك فهم خليقون بالرحمة والعطف والإشفاق. وكيف لا ترحم من يحيا راغماً ويلذ راغماً ويألم راغماً!"[٦٩].

يمكن اختزال القضايا فى القطعة السابقة إلى الشكل التالى:

(المقدمة الكبري) : من يحيا حياته كارهاً خليق بالرحمة.

(المقدمة الصغري): أنصار القديم (صادقين) يحيون حياتهم كارهين.

(النتيجـــــــة): أنصار القديم خليقون بالرحمة.

بدهى أن كاتب الحجاج لا يعرض أقواله دائماً فى الصياغة والترتيب المباشرين كالنموذج القياسى التقليدى، بل كثيراً ما يخالف فى الترتيب ويزيد فى العبارة بأحد الأقوال. وربما توزعت

أقوال القياس على مساحات شتى من النص. ولكن القارئ الذى ينبغى له أن يبذل مع النص الحجاجى جهداً خاصاً، لن يعسر عليه معرفة الصلات بين تلك الأقوال وإن تناءت. من ذلك مثلاً ما وقع فى نص للمازنى، هو مقال "القدماء والمحدثون". الجملة الأولى من الفقرة الأولى من النص هى: "البساطة من مظاهر الصحة والاستقامة فى الإحساس والنظر"[٧٢]. العلاقة بين الجملتين تقدم لنا القياس المنطقى التالى:

(المقدمة الكبري): البساطة من مظاهر الصحة والاستقامة فى الإحساس والنظر.

أ/٢ القياس المضمر

القياس المضمر Enthymeme أحد أنواع القياس المنطقى. معيار المقياس المضمر أنه قياس محذوف المقدمة، وهى عادة المقدمة الكبري[٧٣]. عندما نقول: "الوطن جدير بالولاء لأنه يساعد على تربية المرء"، سوف يستلزم القياس المنطقى الكلى القياس المضمر التالى:

(المقدمة الكبري) : [مضمرة]: كل شئ يساعد على تربية المرء جدير بالولاء.

(المقدمة الصغري): [مذكورة]: وطن المرء يساعد على تربيته.

(النتيجـــــــة): وطن المرء جدير بالولاء.

غنى عن البيان أن المقدمة المحذوفة سوف تبنى على القولين الآخرين وقد وصل أحدهما بالآخر على نحو مناسب.

من أمثلة القياس المضمر قول طه حسين فى سياق احتجاجه لرأيه فى الرافعى رمزاً لأنصار القديم: "فإذا كان لى أن أقدم إليه وإلى أمثاله من الناس الذين يعشقون القديم على غير علم به ولا فهم صحيح له نصيحة، فهى أن يصدقوا حين يكتبون، فقد كان القدماء صادقين حين يكتبون، ومن هنا فهمنا القدماء"[٧٣].

يمكن عرض القياس المضمر فى القطعة السابقة على النحو التالى:

(المقدمة الكبري): [مضمرة]: يفهم الكاتب حين يكون صادقاً فيما يكتب.

(المقدمة الصغري): [مذكورة]: كان القدماء صادقين حين يكتبون.

(النتيجـــــــة): [مذكورة]: ومن هنا فهمنا القدماء.

أشير هنا إلى دور الاستنباط فى القياس المضمر، حين يمتد الكلام شيئاً ولا يكون سبيل تقدير الطبقة الكبرى فى المقدمة الكبرى إلا بالاستنباط. من ذلك ما نجده فى قوله طه حسين عن الرافعى أيضاً من النص السابق، نفسه، : "ستضحك حين تقرأ هذا الفصل، فترى الرافعى قد انتهى به الغرور والعجب إلى حيث خيل إليه أنه أغضبنى، وأنى كنت أسمع كلامه فتبتلعنى ثيابى، وأنى اقتلعت نفسى من المجلس اقتلاعاً، بل فررت منه مرتين: تركته عند "عزمى" مرة وفررت إلى "هيكل" فتبعنى، فتركت له "السياسة" كلها. وأخطأ حين فسر هذا الاقتلاع بأنه أثر الخوف أو ما يشبهه. ولو فسره بشئ آخر يشبه استثقال الظل واستبطاء الحركة لوفق بعض الصواب. وأخطأ حين قرر أن ثيابى كانت تبتلعنى، ومم تبتلعنى ثيابي؟!

لقد يكون من الحق على الرافعى لو أنصف نفسه، أن يعلم أنى من قوم قد بلوا السفهاء فأحسنوا بلاءهم وصبروا لهم واحتملوا منهم شراً كثيراً لا ضجرين ولا متحرجين ولا مستخفين فى ثيابهم"[٧٤].

يمكن تصوير القياس المضمر فى القطعة السابقة على النحو التالى:

(المقدمة الكبري): [مضمرة]: السفهاء من فسروا اقتلاعى من المجلس بأنه أثر الخوف.

(المقدمة الصغري): [مذكورة]: فسر الرافعى اقتلاعى من المجلس بأنه أثر الخوف.

(النتيجـــــــة): [مذكورة]: الرافعى سفيه (أو أحد هؤلاء السفهاء).

يبدو القياس المضمر فى مثل هذه الحالة آلية منطقية للوصول إلى نتيجة أو غرض يشبه ما يسمى بالتعريض للبقيا. والتعريض للبقيا آلية فى الخطاب يمثل لها القدماء بتعريض الله بأوصاف المنافقين وإمساكه تسميتهم إبقاء عليهم وتألفاً لهم[٧٥].

يستوجب القياس المضمر حضوراً يقظاً للقارئ مع النص، يستنبط له من سياق الحجاج مقدمته المحذوفة. نضرب مثالاً آخر على ذلك قول المازنى: "المذهب القديم لا يعول على حجة ولا يستند إلى عقل، فكان وما يزال حسبه من المقاومة الاعتماد على الجهل الفاشى وعلى غفلة النفوس وعلى اعتياد الجماهير الطريقة القديمة"[٧٦].

يمكن تصوير القياس المضمر فى هذه القطعة على النحو التالى:

(المقدمة الكبري): [مضمرة]: الاعتماد على الجهل الفاشى وعلى غفلة النفوس .. ليس حجة ولا يستند إلى عقل.

(المقدمة الصغري): [مذكورة]: المذهب القديم يعتمد على الجهل الفاشى وعلى غفلة النفوس.

(النتيجـــــــة): [مذكورة]: المذهب القديم لا يعول على حجة ولا يستند إلى عقل.

يتضح مما سبق وفرة إضمار المقدمة الكبرى، حتى صار ذلك معيار القياس المضمر المألوف. ولكن قد تضمر المقدمة الصغرى. نضرب مثالاً على ذلك من عينات الدراسة قول طه حسين فى سياق احتجاجه لرأيه فى العلاقة بين "القديم والجديد". وهل من سبيل إلى أن نفرغ من مثل هذه المسألة؟ فقد رأينا فى فصل مضى أنها مسألة تلازم الأمم الحية، وتلازمها لأنها حية؛ إذ كانت الحياة بطبيعتها تطوراً وكان التطور بطبيعته انتقالاً من حال إلى حال"[٧٧].

ينبغى للقياس المضمر فيما سبق أن يبدو على النحو التالى:

(المقدمة الكبري): [مذكورة]: القديم والجديد مسألة تلازم الأمم الحية.

(المقدمة الصغري): [مضمرة]: مصر أمة حية.

(النتيجـــــــة): [مضمرة]: القديم والجديد مسألة تلازم مصر.

فى القياس المنطقى لابد من قبول المخاطب للمقدمة الكبرى وإلا كان الحجاج عبثاً، وفى القياس المضمر يسلم المخاطب جدلاً بتلك المقدمة. القياس المنطقى والقياس المضمر هما الشكلان المنطقيان الأعم فى الخطاب الحجاجى العربى.

أ/٣ القياس المتدرج

القياس المتدرج Sorites — شأنه شأن القياس المنطقي- شكل من أشكال تحديد العلاقات المنطقية- الدلالية بين الأقوال وما تعبر عنه من قضايا. يعد القياس المتدرج امتداداً معقداً للتعليل القائم على القياس المنطقى؛ وذلك بأن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض، حتى تؤدى إلى نتيجة هى المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة[٧٨].

يمكن أن نضرب مثالاً توضيحياً على القياس المتدرج فيما يلى:

كل المسايرين للموضة متحررون من القيود.

كل المتحررين من القيود مزعزعون.

كل المزعزعين مرضى عقلياً.

كل المرضى عقلياً فى حاجة إلى التعاطف.

كل المسايرين للموضة فى حاجة إلى التعاطف

يلاحظ فيما سبق أن المقدمتين الأوليين تقودان إلى نتيجة صالحة: "كل المزعزعين مرضى عقلياً"؛ وذلك أن التعبير "متحررون من القيود" موزع على المقدمة الصغرى: "كل المسايرين للموضة مزعزعون"، وهذه هى المقدمة الكبرى غير المعبَّر عنها والتى تقود مع القول الثالث: "كل المزعزعين مرضى عقلياً"، إلى نتيجة أخرى جديدة: "كل المسايرين للموضة مرضى عقلياً" وهى نتيجة ترجع بدورها إلى المقدمة الكبرى التى كان القول الرابع مقدمتها الصغرى، وكان القول الخامس نتيجة القياس المنطقى الضمنى والاستنتاج المتدرج الكلى.

تبرهن العينات على أن طه حسين أكثر الحجاجيين اعتماداً على القياس المتدرج. من أحد النصين المختارين له، وهو "القديم والجديد" يقول فى سياق عرضه للخلاف الدائر بين أنصار القديم والجديد فى الأدب: "نريد أن نفرغ من مسألة القديم والجديد إنها مسألة تلازم الأمم الحية، وتلازمها لأنها حية؛ إذ كانت الحياة بطبيعتها تطوراً وكان التطور بطبيعته انتقالاً من حال إلى حال، وكان هذا الانتقال نفسه، موجوداً للخلاف بين جديد طارئ وقديم زائل. فليس للجديد بد من أن يجاهد ليظهر ويستأثر بالحياة، وليس للقديم بدٌ من أن يجاهد قبل أن يزول ويفقد سلطانه على النفوس"[٧٩].

يمكن تصوير القطعة السابقة فى نسق القياس المنطقى المتدرج على النحو التالى:

- القديم والجديد مسألة تلازم الأمم الحية؛ لأنها حية.
- الحياة تطور.
- التطور انتقال.
- الانتقال موجود للخلاف بين قديم وجديد.
- الجديد لابد له من أن يجاهد (ليظهر). والقديم لابد له من أن يجاهد (قبل أن يزول).
- القديم والجديد مسألة جهاد بين الزوال والظهور.

غنى عن البيان أن كاتب الحجاج لا يشغل نفسه، دائماً بأن يجعل أقواله مقيدة بقالب القياس المنطقى المتدرج التقليدى. ربما ظهرت أقواله على هذا النحو، وربما تحررت فى نسق النظم بعض الشئ- على نحو ما رأينا فى القطعة السابقة- من غير أن يفسد المحتوى الذى تؤسس عليه البنية الأساسية لهذا النوع من القياس المنطقى.

يمتد القياس المتدرج غالباً إلى عدة أقوال، ولكنه قد يبنى على عدد محدود من الأقوال أحياناً على حسب ما يوصل إلى النتيجة التى يريدها المتكلم. القياس المتدرج التالى قياس غير ممتد؛ لأنه يقدم قولين اثنين فقط، ثم ينتهى بنتيجة القياس. يقول خالد محمد خالد فى سياق دفاعه عن الديمقراطية: "إن الأمة التى يزيف تاريخها تكون كأمة بلا تاريخ،وأمة بلا تاريخ كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار"[٨٠].

يصور القياس المتدرج فيما سبق على هذا النحو:

- أمة زائف تاريخها كأمة بلا تاريخ.
- أمة بلا تاريخ كشجرة اجتثت من فوق الأرض.

- أمة زيف تاريخها كأمة اجتثت من فوق الأرض.

من القياس المتدرج غير الممتد أيضاً قول محمد زكى عبد القادر: "والرفاهية إذا دامت انقلبت إلى ما يشبه الإدمان، لا تكفى منها جرعة واحدة أو جرعات، والإدمان يفسد الجسم والروح والعقل"[٨١].

تقدم القطعة السابقة القياس المتدرج التالى:

- الرفاهية إدمان.
- الإدمان يفسد الجسم والروح والعقل.
- الرفاهية تفسد الجسم والروح والعقل.

يبنى القول اللاحق على جزء من القول السابق، حتى ينتهى القياس المتدرج إلى نتيجته. فى القياس المنطقى التقليدى تنتمى المقدمة الصغرى إلى الطبقة الأعلى فى المقدمة الكبرى. وهذا تمييز واضح بين النوعين.

هذا، ويشير وليم برانت W.Brandt إلى أن الاستنتاج المتدرج مهم جداً للحجاج؛ وذلك أنه يسمح للكاتب بأن يطرح خطوات واضحة تطبع حجاجه بطابع الهدوء، ولكنه الهدوء الذى لا يصل إلى الحركة البطيئة جداً والتى تضيع على القارئ انتباهه[٨٢].

من الجائز توسيع ملحوظة برانت السابقة حتى تسرى على أشكال القياس المنطقى جميعاً، وذلك أنها جميعاً تسم الخطاب الحجاجى بسمة الهدوء الذى ينتج عن بنائها على التفصيل والتقسيم، واحتياجها فى الربط بين الأقوال وصولاً إلى النتيجة إلى الأناة والانتباه.

لعل ارتباط الأقيسة المنطقية بالهدوء متناسب تناسباً طردياً مع ميل النص الحجاجى فى موضوع دينى أو فكرى إلى توظيف القياس المنطقى والقياس المضمر والقياس المتدرج وسائل إقناعية، فى مقابل ميل النص الحجاجى فى موضوعات عامة أو اجتماعية إلى الاحتفاء بالقياس على النظير وضرب الأمثال والشواهد من الحياة والخبرات اليومية.

ومهما يكن من أمر، فإننا نرى فيما اشتمل عليه النص الحجاجى العربى من أشكال مختلفة للقياس المنطقى، ما يهدم زعم باربرا جونستون كوتش B.J.Koch. تزعم باربرا أن الحجاج العربى الذى يقنع عن طريق عرض دعاويه الحجاجية argumentative claims عرضاً لغوياً بالترديد وإعادة الصياغة[٨٣]. عرض الحجاج العربى دعاويه بالوسائل اللغوية السابقة صحيح، ولكنه يستخدم — بالإضافة إليها — الوسائل المنطقية المختلفة على نحو ما أثبتنا.

(ب) الوسائل اللغوية:

الوسائل المنطقية واللغوية فى كل نص حجاجى هى سداه ولحمته. كانت اللغة الأداة اللفظية لنقل المعنى أو النتيجة فى كل قياس منطقى. ولما كانت اللغة فى الحجاج وسيلة لفرض سلطة على الآخرين من نوع استدراجهم إلى الدعوى المعبَّر عنها وإقناعهم بمصداقيتها، وهو أمر يرغب فى البحث عن بدائل لغوية لما نألفه فى مواقف غير حجاجية، فإننا نقتصر هنا على استكشاف الوسائل اللغوية ذات الصلة الوثقى بالإقناع وتحليل أنماطها المختلفة. إن تحليل لغة النص الحجاجى من منظور الاختيار اللفظى، والتكثيف اللغوى، وخصوصية البنية المجازية، وكيفيات توزع الجمل البسيطة والمركبة والمعقدة والمركبة المعقدة، وطبيعة الإحالة الضميرية (كاستخدام نحن ونا للمعظم نفسه، إزاء خصمه على نحو ما نجد مثلاً فى مكاتبة الإخشيد إلى أرمانوس)، فضلاً عن بحث العلاقة بين اللغة والتقنيات الحجاجية الموقفية، كالاستدراج، والمناورة (لا سيما بالجمل الافتتاحية)، ومحاورة المخاطب المفترض، والتظاهر بالتلقائية ونحوها - لمن مجالات البحث اللغوى الاتصالى المهمة التى تزودنا بمعطيات مفيدة عن النص الحجاجى العربى،

تمس إليها الحاجة فى حقل تحليل النص العربى. ولكننا — كما أشرنا — سوف نقتصر هنا على تحليل البنى اللغوية التى يغلب وقوعها فى النص الحجاجى العربى والتى تزوده بأدوات مهمة فى الإقناع والاستمالة، بما يجعله متمايزاً — إلى حد بعيد — عن غيره من أنواع النصوص الأخرى.

بناء على ما تقدم، يمكن أن نميز بين عدد من البنى اللغوية، من أهمها: بنية التكرير، وبنية التوازى، وبنية الازدواج أو التوازن.

ب/١ بنية التكرير

يزودنا استقراء بعض المصادر البيانية بطائفة من المعطيات المهمة عن التكرير، نجملها فيما يلى:

١- للتكرير (ويسمى أيضاً بالترديد والترداد) وظائف خطابية عدة، عبر عنها بالإفهام والإفصاح والكشف[٨٤]، وتوكيد الكلام والتشييد من أمره، وتقرير المعنى وإثباته[٨٥].

٢- ليس التكرير محض وقوع اللفظ فى الكلام أكثر من مرة، أو صياغة المعنى الواحد أكثر من مرة. يخرج عن حكم التكرير مثلاً إطالة الفصل من الكلام وافتقار أوله إلى تمام لا يفهم إلا به. يقتضى سبك الكلام — إذ ذاك — أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارناً لتمام الفصل. مثال هذا قوله تعالى: (**لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**) "آل عمران"[٨٦].

٣- ترتبط بعض حالات التكرير بالتغيير فى سلوك المخاطب. يقول ابن الأثير (ت٦٣٧هـ): "إذا صدر الأمر من الآمر على المأمور بلفظ التكرير مجرداً من قرينة تخرجه عن وضعه، ولم يكن موقتاً بوقت معين، كان ذلك حثاً له على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور، فإنك إذا قلت لمن تأمره بالقيام: "قم قم قم"، فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام فى تلك الحال الحاضرة"[٨٧].

٤- التكرير ظاهرة لغوية مقامية. من أهم ما يدل على هذا الفهم إشارة ابن الأثير إلى تكرير المعنى فى مقام الاعتذار والتنصل قصداً إلى التأكيد والتقرير لما ينفى عن المتكلم ما رمى به[٨٨].

٥- قدمت محاولات لتصنيف أنواع التكرير. من أشهر التصنيفات ما قدمه ابن الأثير:

(أ) التكرير فى اللفظ والمعنى.

(ب) التكرير فى المعنى دون اللفظ.

من النوع الأول قولك لمن تستدعيه: "أسرع أسرع". ومن النوع الثانى قولك: "أطعنى ولا تعصنى" ؛ فإن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية[٨٩].

٦- قدمت محاولات أخرى لتصنيف التكرير فى المعنى، ولكنها كانت محاولات جزئية للغاية. ومن ذلك التفات ابن الأثير إلى أن التكرير فى المعنى يدل على معنيين: أحدهما خاص، والآخر عام؛ كقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) "آل عمران١٠٤". فإن الأمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمراً بالمعروف؛ وذاك أن الخير أنواع كثيرة، من جملتها الأمر بالمعروف[٩٠].

وكان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) قد قيد التكرير — ويسميه الترداد — بقدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص[٩١].

فى اللسانيات النصية، عولج التكرير من منظور دوره فى السبك المعجمى، وذلك أن يحيل اللفظ المكرر إلى لفظ آخر سابق مرادف، أو مرادف قريب، يرتبط به بالإحالة المشتركة[٩٢]. ومن أشهر الأطر المقترحة لوصف السبك المعجمى ما رأيناه عند هاليداى ورقية حسن[٩٣].

ومهما يكن من أمر، فإن وظيفة التكرير التركيبية تخرج عن إطار غرضنا هنا، إنما نعنى بتحليل بنية التكرير من منظور الوظيفة الاتصالية الإقناعية. نرى هنا للقدماء إشارات مهمة تفيد فى إلقاء الضوء على تلك الوظيفة. يقرن أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥هـ) التكرير بتأكد الحجة[٩٤]. ويجعل التكرير مدا للقول، ومن ثم يربط بين مد القول وبلوغه الشفاء والإقناع[٩٥].

شغلت البنية التكرارية للخطاب الحجاجى العربى بأل عددا من المستشرقين:

ترى شيرلى أوستلر Schirly Ostler — فى دراسة تقابلية بين النثر الإنجليزى والنثر العربى أنه "على عكس التطور فى الإنجليزية من لغة شفهية إلى لغة كتابية، تظل العربية الكلاسيكية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتقاليد شفاهيةOral traditions"[٩٦].

وترى باربرا جونستون كوتش B.J.Koch أن خطاب الحجاج العربى يعتمد فى الإقناع على العرض اللغوى للدعاوى الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة. وترى أن هذا الطراز من الحجاج هو نتيجة المركزية الثقافية للغة العربية فى المجتمع العربى الإسلامى.

وتسمى باربرا هذه الاستراتيجية البلاغية: استراتيجية الإقناع بالتكرير repeating وبالصياغة الموازية rephrasing وبإلباس الدعوى وإعادة إلباسها إيقاعات نغمية متغيرة من الكلمات، تسميها باسم "استراتيجية العرض Presentation" (استحضار الشئ أمام الإنسان حتى يتعلق به شعوره)[٩٧].

أما ارتباط العربية بتقاليد شفهية، فهو أمر تثبته البنى اللغوية للنصوص، ونرى له آثاراً عدة على المستوى الصوتي– الصرفى والمستوى التركيبى معاً. ووقوف القدماء من اللغويين والنحاة على تلك الآثار دليل تاريخى قديم على الوعى بوجوده. وأما إطلاق كوتش القول بالتكرارية فى الحجاج العربى، فأمر نريد هنا تقييده باستقراء النصوص.

تقبل أنماط التكرير فى النصوص المختارة لهذه الدراسة أن تصنف بأى طريقة للتصنيف. نختار هنا أن نصنفها إلى صنفين رئيسين: تكرير الشكل، وتكرير المضمون. يشتمل تكرير الشكل على اللفظ المفرد والعبارة أو الجملة، وهو تكرير شكلى فى مقابل تكرير المضمون الذى آثرته على ما أسماه بعض القدماء مثل ابن الأثير بتكرير المعنى؛ وذلك أن ما سمى بتكرير المعنى لا يكون المعنى فيه مكرراً، بل يتغير بتخصيص أو تعميم أو اشتراك فى جزء من المعنى. وإذن ما يجمع المعنى والمعنى هنا نقل مضمون عام واحد.

ب/١–أ تكرير الشكل

ينبغى لنا أولاً الإشارة إلى أن تكرير الشكل لا صلة له بالإقناع إلا إذا لوحظ فيه قصد إلى ذلك. فى مثل قول العقاد: "ثم إننا لا نعرف شعراً يرويه الناس ويقال إنه يعنى قائله وحده؛ لأن شعر النفس يعنى كل نفس"[٩٨]. تكررت الكلمتان "شعر" و "نفس" مرتين، ولكننا لا نرى فى هذا التكرير قصداً إلى إقناع؛ لأنه لا بديل فى سبك ذلك المنطوق عن مثل هذا التكرير. وقد مرت بنا إشارة ابن الأثير إلى حكم التكرير، وأنه يخرج الحالات التى يطول فيها الفصل من الكلام حتى يفتقر أوله إلى تمام لا يفهم إلا به. تطول القائمة بحالات أخرى يقتضيها السبك ولا أثر فيها لقصد التقرير أو التوكيد أو الإقناع أو نحو ذلك، ولكننا نريد لنذكر أمثلة للتوضيح من نصوص كاتب واحد هو العقاد:

- قوله: فتهيج فيها (الأصوات) العاطفة العاطفة، وتبعث الرغبة الرغبة"[٩٩].
- وقوله: "وكأنما ينزع نفسه، من نفسه، "[١٠٠].
- وقوله: "لأن المدارك مدارك فرد واحد، والهوى هوى نوع بأسره"[١٠١].

- وقوله: "يخالجه الغضب كما يخالجه الطرب"[١٠٢].
- وقوله: "ولكنه (أى العشق) غريزة يراد بها بقاء النوع كله واتصال حبل الحياة جيلاً بعد جيل"[١٠٣].

يمكن أن نرى لبعض هذه الاستخدامات وظائف خاصة، كأن تكون الوظيفة هى الوصف فى نحو "جيلاً بعد جيل"؛ أى أجيالاً متتابعة، ولكننا لا نرى فى غيرها إلا وظيفة سبكية خالصة Cohesive Function يقتضيها التركيب، لا بلاغية يقتضيها المقام. مثل هذه الحالات لا موقع لها من الاهتمام فى دراستنا.

ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع للتكرير على مستوى الشكل، وفقاً لما يتيحه لنا استقراء النصوص المختارة، وهى:

١- تكرير المكرر بذاته، سواء أكان لفظاً مفرداً أم غير ذلك، فى منطوق واحد، أم غير ذلك.

٢- التكرير فى هيئة عنصرين من مادة واحدة.

٣- التكرير بإعادة الصياغة.

أما (النوع الأول)، وهو تكرير المكرر بذاته، فقد يكون لفظاً مفرداً، كقول طه حسين فى سياق دفع دعوى أنصار القديم: "فإن كانوا كذلك، فهم خليقون بالرحمة والعطف والإشفاق. وكيف لا ترحم من يحيا راغماً ويلذ راغماً ويألم راغماً!"[١٠٤]. وقول مصطفى محمود فى سياق تبريره دعواه بتغير حال الدنيا: "والكلام فى وسائل الإعلان عن التلوث: الهواء الملوث، والماء الملوث، والطعام الملوث"[١٠٥]. وربما امتد تكرير اللفظ فى النص الحجاجى العربى امتداداً أبعد كثيراً حتى يبدو النواة الكبرى فى تشييد دعواه الرئيسة. ومن ذلك مثلا كلمة "متعددة" فى نص " التعدد فى حياة الإنسان" لمحمد زكى عبد القادر، ومنه قوله: "الإنسان من حيث هو إنسان له ارتباطات متعددة، ونظره إلى الأمور له وجوه متعددة، وهو من حيث إنه إنسان له عقل، تخطر عليه تساؤلات متعددة، ومن حيث إنه إنسان له قلب تضطرب فى قلبه عواطف متعددة "[١٠٦].

يريد الكاتب بالتكرير فيما سبق تثبيت تبريره دعواه، حيثما يكون استبقاء المكرر فى الزمان والمكان وسيلة لدحض ضده.

فى حالات أخرى يجعل الكاتب المكرر بذاته وسيلة لغوية للوصول إلى الهزء بالخصم وفضح جهله. نضرب مثالاً على ذلك قول طه حسين عن خصمه الرافعى: "فإذا كان لى أن أقدم إليه وإلى أمثاله من الناس الذين يعشقون القديم على غير علم به ولا فهم صحيح له نصيحة، فهى أن يصدقوا حين يكتبون، فقد كان القدماء صادقين حين يكتبون، ومن هنا فهمنا القدماء، ولم نفهم هؤلاء السادة "المتقادمين"!"[١٠٧].

فى عبارة "هؤلاء السادة المتقادمين" سخرية واضحة بالخصوم الذين تكلفوا نهج القدماء على غير علم، وقد مهد لهذه السخرية تكرير لفظ "القدماء" قبلها.

ولعل طه حسين أكثر الحجاجيين المحدثين استخداماً لبنية التكرير قصد السخرية بالخصم. وتكشف سياسة السياق اللغوى مع تلك البنية عن كفاءة اتصالية حجاجية عالية. نؤكد ذلك بمثال آخر هو قوله: "لقد يكون من الحق على الرافعى لو أنصف نفسه، أن يعلم أنى من قوم قد بلوا السفهاء فأحسنوا بلاءهم، .. وإن رجلا يحتمل السفهاء مثل ما نحتمل لخليق ألا يضيق صدره إن أراده الله على هؤلاء السفهاء واحداً، أو يبسم ثغره إن نقص الله من هؤلاء السفهاء واحداً"[١٠٨]. وقعت "السفهاء" فى النص السابق، أربع مرات. يمكن فى الموضع الثانى استبدالها بالضمير أو اسم الإشارة المناسب. ويمكن فى الموضعين الثالث والرابع الاستغناء عنها،

ولكن الكاتب قصد بتكرير اللفظ تهييج خصمه — موصوفاً بالسفه — مع كل مرة! التكرير هنا وسيلة لإقناع الخصم عن طريق دحض زعمه وكشف حقيقته.

من ناحية أخرى، قد يكون المكرر بذاته عبارة أو جملة. ويقع ذلك فى المقدمات لتقرير المعطيات، كما يقع فى التبريرات والدعاوى جميعاً. يلفت الانتباه هنا تكرير الجملة فى الدعوى، سواء أ كانت المقدمة دعوى الحجاج أم وقعت المقدمة والدعوى فى مكانيهما المعتادين. فى مقدمة حجاجه، نرى للكندى هذه الجملة: "إنما المال لمن حفظه". وفى نص دعواه يكرر هذه الجملة مع جمل أخرى برهن فيما سبق من خطابه على صحتها بالتبرير: "فالمال لمن حفظه، والحسرة لمن أتلفه" [١٠٩]. وينكر طه حسين على أنصار القديم نصرهم القديم فى الوقت الذى يستمتعون فيه فى حياتهم الخاصة بأحدث ما اخترعت الحضارة، فيقول: "ولقد أريد أن أرى بين أنصار القديم أولئك الذين لا يزالون يأكلون ويشربون فى الصحاف والأكواب من النحاس والفخار وقد جلسوا على حصير ورفضوا الكراسى رفضاً، وأبوا أن يستمتعوا بكل ما أتاحت لهم الحضارة الحديثة من أدوات الترف واللذة البريئة– أريد أن أرى هؤلاء، ولكنى يائس من رؤيتهم"[١١٠]. التكرير هنا تعبير عن رغبة أحد طرفى الحجاج الملحة فى أن يثبت الخصم ما يبرهن على صلاحية معتقدة، ولكن تظل هذه الرغبة غير متحققة؛ لأن ما يصدر عن ذلك الخصم يضاد ذلك المعتقد.

فى مواقع أخرى ينقض طه حسين دعوى الخصم بحكم صريح، يكرر منطوقه تثبيتاً لمضمونه ورغبة فى رجوع الخصم عما ادعى. من ذلك مثلاً العبارة "ليس من القديم الصالح فى شئ" المكررة بصدر كل منطوق فيما يلى: "ليس من القديم الصالح فى شئ أن تتغير الحياة أمامك دون أن تشعر بهذا التغيير أو تلائم بينه وبين اللغة. وليس من القديم الصالح فى شئ أن تكثر الأشياء المستحدثة التى تصطنعها فى كل يوم بل فى كل ساعة، فلا تستطيع أن تنطق باسمها إلا إذا وجدت لها اسماً عربياً ورد فى المعاجم اللغوية القديمة. ثم ليس من القديم الصالح فى شئ أن تشعر الشعور الذى لم يكن يشعره غيرك من القدماء ثم ليس من القديم الصالح فى شئ أن تأخذ نفسك بسلوك سبل القدماء فى وصف الجمال، فلا تعرف من فنون الشعر والنثر إلا ما عرفوا"[١١١].

وتكرر الجملة جزءاً من منطوق كامل فى عجزه أيضاً، كقول محمد زكى عبد القادر فى توكيده واحدية مصدر أشياء عدة: "الأدب العظيم جاء من المعاناة، والحب العظيم جاء من المعاناة، ."[١١٢].

يهدف التكرير فيما سبق إلى تثبيت الدعوى أو تقرير المعطيات. إنه يهدف إلى جعل محتوى الجدال مفهوماً أكثر. إنه يزيد الفهم بجذب انتباه المستقبل وامتلاكه.

أما (النوع الثاني)، وهو التكرير فى هيئة عنصرين اثنين من مادة واحدة فتراه فى غير نص من النصوص المختارة. يمكن أن نرى من ذلك قول إخوان الصفا: "واعلم أن إقدار الله القادرين وتقويته الأقوياء وتيسير الأمور ليس بمجبر لأحد منهم على فعل من الأفعال ولا عمل من الأعمال ولا تركه"[١١٣].

أما مكاتبة الإخشيد فهى من النصوص الحجاجية القليلة التى تعرض نموذجاً يتسع فيه مدى هذا النوع حتى يصير آلية لغوية مهمة من آليات دفع دعوى الخصم وإقناعه بالإقلاع عنها. من هذه المكاتبة قوله مثلاً مخاطباً أرمانوس: "وإن كنت تجرى فى المكاتبة على رسم من تقدمك، فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محلنا، ولا أغنى غناءنا، ولا ساس فى الأمور سياستنا"[١١٤]. فى هذه المكاتبة نجد أمثلة أخرى عدة على هذا النوع، نحو "القدرة القادرة" و"نشر الناشرين" و"قول القائلين" و"يفوت عددها عدَّ العادين" و"جبرية الجبارين" و "شكر الشاكرين" و "سعى لها سعيها" و "سلك مسلكاً" و "قلت قولاً" إلخ[١١٥]. تعكس مثل هذه الهيئة من التكرير المبنية على: فعل + اسم فاعل، أو: فعل + مفعول مطلق، تعكس– فى سياقها الحجاجي– حالة من الحالات فى تأثير سلوك الخصم– فى منازعة محتدمة– باستخدام علامات لغوية تعتمد فى تأثيرها السمعى على مبدأ التجانس.

أما (النوع الثالث) من أنواع تكرير الشكل، فهو تكرير بتغيير التركيب، يتسع فيه المدى عادة بين الشكل الأول والشكل الثانى. أضرب مثالاً على ذلك قول المازنى فى سياق البرهنة على فوز المذهب الجديد فى الأدب: "ولو شئنا. وكان ذلك يلائم مزاجنا ويليق بمهمة النهضة بالأدب وتحريره، لباهينا بالمذهب الجديد فيه وبفوزه على صنوف الاستبداد"[١١٦]. يبرهن الكاتب على دعواه حتى يخلص إلى قوله مكرراً العبارة السابقة فى تغيير التركيب: "فاز المذهب الجديد على هذه وغيرها من صنوف العنت وضروب الاستبداد"[١١٧]. الترجيع فى هذه الحال تشييد للمعنى ووجهة النظر.

ب/١-ب تكرير المضمون

يبنى تكرير المضمون أو المحتوى على مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة فى جزء من المعنى. وتتيح لنا النصوص المختارة تصنيف تكرير المضمون إلى الأنواع الأربعة التالية:

١ - تكرير مفردتين متواليتين أو أكثر، فى جملة واحدة أو منطوق واحد.

٢ - تكرير مفردتين فى جملتين أو منطوقين متواليين.

٣ - تكرير مفردتين فى ثنائية.

٤ - تكرير المضمون بين جملتين متواليتين.

وفيما يلى تفصيل هذه الأنواع:

أما (النوع الأول)، وهو تكرير مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة أو منطوق واحد لمعنى واحد، أو لمعنى عام واحد. وهذا النوع لم يخل منه نص من نصوص الدراسة. بل تظهر الإحصاءات أنه النوع الأكثر شيوعا؛ فهو يمثل حوالى ٥٤٪ من مجموع أنواع تكرير المضمون؛ أى ما يربو على نصف كم الأنواع الأخرى مجتمعة.

يمكن أن نميز لهذا النوع بين أشكال فرعية عدة:

(أولها) يستخدم فيه الكاتب مفردتين أو أكثر على أنها مترادفة وأن إحداها يمكن أن تحل محل الأخرى. وهذا الشكل هو أكثر أشكال هذا النوع وقوعاً فى النصوص الحجاجية العربية. إنه يمثل ما يقرب من ٧٥٪ من جملة الأشكال الأخرى.

من أمثلة هذا الشكل قول الكندى لعياله وأصحابه: "اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله"[١١٨].

يرى الكاتب فى الجمع بين مفردتين أو أكثر لمعنى واحد آلية لشغل فضاء ذلك المعنى كاملاً، حيثما تقصر المفردة الواحدة- فى ذلك السياق الحجاجي- عن أداء هذه الوظيفة. يعنى هذا بالطبع أن الترادف لا يبلغ- مهما بدا قريباً- أن يكون ترادفاً كاملاً.

و(ثانيها) ارتباط الثانى بالأول ارتباط السبب بالمسبَّب. وهذا الشكل يلى سابقه من حيث الشيوع. ومن أمثلته قول إخوان الصفا فى مقدمة احتجاجهم لمسألة الإمامة: "وبدرت بين الخائضين فيها العداوة والبغضاء، وجرت بين طالبيها الحروب والقتال"[١١٩].

و(ثالثها) ارتباط اللاحق بالسابق، ارتباط التدرج من هيئة الحدث إلى هيئة أخرى. نرى مثالاً على ذلك قول محمد زكى عبد القادر: "لنوقن - إذن - أن الألم قرين الحياة؛ بل باعثها ومحركها ودافعها للأمام"[١٢٠]. التدرج واضح من بعث مجرد إلى حركة مجردة ومن حركة مجردة إلى دفع إلى الأمام. نرى أن هذا توكيداً لمقولة اقتران الحياة بالألم فى شتى حالاته.

و(رابعها) أن تتضمن الكلمة الثانية الكلمة الأولى، وهو أن تكون علاقة الثانية بالأولى علاقة العام بالخاص. من ذلك مثلاً قول العقاد فى سياق دحضه وهما شائعاً بين قراء الشعر، وهو أن شعر الغزل ينبغى له أن يكون مفرطاً فى رقته بعيداً عن العنف والقوة: "ولا يزال الغناء كذلك حتى يتعلم الناس الكلام وينعقد الصوت ألفاظاً وحروفاً. فيتدفق الغزل من النفس المحتدمة تدفقاً قوياً عارماً"(١٢١). العارم يتضمن القوى بالضرورة. وهو تضمن محدود بحدود الانتقال من درجة إلى أخرى أقوى. وهذا الشكل كثير الوقوع فى النص الحجاجى العربى.

و(خامسها) وهو عكس الشكل السابق، أى الكلمة الأولى هى التى تتضمن معنى الثانية. ومن ذلك قول الإخشيد فى سياق احتجاجه لحسن سياسة ممالكه ورعيته: "وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها، على عظمها وسعتها، بفضل الله علينا وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية"(١٢٢). السعة مضمنة فى العظم. والتضمن هنا محدود بحدود الانتقال من العام إلى الخاص.

(النوع الثاني) وهو تكرير المضمون المبنى على مفردتين فى جملتين. ويستدل- من خلال فحص النصوص المختارة- على أنه أقل الأنواع وقوعاً، فهو يمثل ٤.٥٪ من مجموع الأنواع الأخرى. ومن أمثلته قول الكندى فى سياق احتجاجه لحرصه على دراهمه تجنباً للفقر والحاجة: "فكيف تأمرونى أن أؤثر أنفسكم على نفسى، وأقدم عيالكم على عيالي؟"(١٢٣). ومنه أيضاً قول مصطفى محمود فى سياق تدعيم دعواه أن الحب هو رأس القضية: "وما كان الصليبيون الذين جاءونا غزاة طامعين على دين، أى دين، ولا كان سفاحو الصرب الذين يقتلون الأبرياء على أى ملة"(١٢٤). رادف الكندى بين (أوثر) و(أقدم) فى جملتين بالقطعة الأولى، ورادف مصطفى محمود فى جملتين من القطعة الأخيرة بين (دين) و (ملة). فى الحال الأولى وقع المترادفان بصدر الجملتين، ووقعا بعجز الجملتين فى الحال الأخيرة.

(النوع الثالث) وهو تكرار مفردتين فى ثنائية. يمثل هذا النوع حوالى ١٧٪ من مجموع الأنواع الأخرى، أى ما يقل كثيراً عن سدس تلك الأنواع، بينما وقوع ذلك النوع كثير نسبياً فى النصوص الحجاجية القديمة إذا بالنصوص الحجاجية الحديثة يقل فيها أن يقع تكرير المضمون على مستوى ثنائية لفظية من جملة واحدة. من أمثلة هذا النوع قول الكندى فى دفع دعوى خصومه: "وزعمتم أنما سمينا البخل إصلاحاً والشح اقتصاداً، كما سمى قوم الهزيمة انحيازاً والبذاء عارضة "(١٢٥).

ومنه قول إخوان الصفا فى سياق القياس على النظير دعماً للدعوى: "وعلى هذا المثال حكم سائر الأعمال الصعبة والأفعال الشاقة"(١٢٦). ومنه أيضاً قول الإخشيد فى سياق شرح مذهب من فى الأسر من رعيته: "وإن فى الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر، وشدة البأساء، على نعيم الدنيا وخيرها، لحسن منقلبه، وحميد عاقبته"(١٢٧).

تدلنا عينات الدراسة على أن تكرير المضمون من هذا النوع يميل غالباً إلى جعل الطرف الثانى فى الثنائية اللفظية أعم وأقوى من الطرف الأول فيها.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن تكرير المضمون من هذا النوع يبدو آلية أساسية من آليات تشديد المعنى وإقناع المستقبل على وجه خاص فى بعض نصوص هذه الدراسة، لا سيما مكاتبة الإخشيد. هذه المكاتبة هى الأكثر احتفاء بذلك النوع من سائر نصوص الدراسة. يمثل تكرير المضمون على مستوى الثنائيات اللفظية فى تلك المكاتبة حوالى ٥٢.٦٪ من جملة حالاته فى النصوص الأخرى جميعاً. وهو يمثل وحده ٤٠٪ من تكرير المضمون فى نص المكاتبة ذاتها بجميع أنواعه.

تؤكد ثنائيات تلك المكاتبة فكرة المكاثرة أو المغالبة التى اقتضاها احتجاج الإخشيد لمنزلته، محور ذلك الاحتجاج، مثل: "عظم الشأن وفخامة الأمر" و "كبر الأحلام وبعد المرامى"

إلخ. وترتبط هذه الثنائيات من ناحية أخرى- على نحو ما سنفصل فيما بعد- باستراتيجية التوازن الغالبة على نص المكاتبة غلبة قوية، بما يجعلها من النماذج المتميزة بين النصوص الحجاجية العربية على الجمع بين تكرير المضمون من ذلك النوع والتوازن.

(النوع الرابع) وهو تكرير المضمون على مستوى الجمل والعبارات. وهذا النوع- كما تثبت نصوص الدراسة- يمثل ما يقرب من ربع حالات تكرير المضمون فى النص الحجاجى العربى، فهو يمثل ٢٤,٣٪ من جملة الأنواع.

من أمثلة هذا النوع قول الكندى: "فالمال لمن حفظه، والحسرة لمن أتلفه. وإنفاقه هو إتلافه، وإذا حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللقب"[١٢٨]- الجملتان الأخيرتان مستخدمتان لمضمون واحد. وربما عبر عن المعنى أو المعنيين بتكرير جمل عدة متوالية؛ كقوله أيضاً: "فإن للنفس عند كل طارف نزوة، وعند كل هاجم بدوة. وللقادم حلاوة وفرحة، وللجديد بشاشة وغرة. فإنك متى رددتها ارتدت، ومتى ردعتها ارتدعت"[١٢٩].

ومما يلاحظ هنا أن تكرير المضمون على مستوى الجمل وأشباهها فى النصوص الحجاجية العربية الحديثة أقل بعامة منه فى النصوص الحجاجية العربية القديمة. بينما النسبة الأعلى فى النصوص القديمة هى ٤٠٪ تقريباً (وذلك فى حجاج الكندى لبخله) إذا بالنسبة الأعلى فى النصوص الحديثة لا تجاوز ٣٣.٣٪ (عند طه حسين). تبين المقارنة بين النسبتين- من ناحية أخرى- دنو طه حسين من الأسلوب العربى القديم فى الحجاج، وهو أسلوب يحتفى احتفاءً خاصاً بإعادة صياغة المعنى وإيقاعية التوازن اللذين يعكسان تفكيراً مطولاً، تغلب فيه السلاسة والهدوء على الانتقالات المفاجئة أو السريعة. ومن الملائم هنا الإشارة إلى ما لاحظه والتر أونج Walter Ong فى قوله: "ويميل التفكير المطول ذو الأساس الشفاهي- حتى عندما لا يكون فى شكل شعري- إلى أن يكون إيقاعياً بشكل ملحوظ؛ لأن الإيقاع- حتى من الناحية الفسيولوجية- يساعد على التذكر"[١٣٠]. ولعل طه حسين أدنى المحدثين إلى النمط الشفاهى؛ فهو متأثر أشد التأثر بالنمط التعبيرى القديم، فضلاً عن اعتماده على التأثير الإيقاعى عند سبك جملة والربط بينها، كأنما جعل من ذلك كله تعويضاً عن نقل كلامه بواسطة الإملاء.

ومهما يكن من أمر، فإن تأمل حالات ذلك النوع، يدلنا على أن الجملة الثانية تميل غالباً إلى أن تكون أعم وأقوى فى دلالتها من الجملة الأولى التى تشترك معها فى الدلالة العامة. ولعل طه حسين والعقاد أحرص المحدثين- ممن اخترنا لهم فى هذه الدراسة- على إطراد هذه العلاقة بين الجملتين، مما يجعل لذلك النوع عندهما أهمية خاصة فى دفع المعنى إلى درجة أقوى، وهو ما يزيد من فاعلية هذه الآلية اللغوية فى إقناع المخاطب واستمالته. يقول طه حسين- فى سياق رده على الرافعى دعواه أنه كان يحسن اللغة حتى خاف منه خصمه طه حسين: "لقد يكون من الحق على الرافعى لو أنصف نفسه، أن يعلم أنى من قوم قد بلوا السفهاء، فأحسنوا بلاءهم، وصبروا لهم واحتملوا منهم"[١٣١]. التكرير فى "صبروا لهم واحتملوا منهم". ويقول العقاد فى سياق دفع دعوى بعض الناس بأن الرقة هى الصفة الأولى للشعر: "ويعلم (العاشق) حينئذ أن السعادة التى سمع بها هى تلك القوة التى كانت تصطرع للظهور، وتتأجج للسطوع". هذان مثالان للغالب فى تكرير المضمون من ذلك النوع عند هذين الكاتبين، وهو الانتقال إلى الأعم والأقوى.

وربما بدا تكرار المضمون على مستوى جملتين أو أكثر فى هيئة إيضاح أو شرح الثانية للأولى. أضرب مثالاً على ذلك قول العقاد فى سياق تدعيمه دعواه بأن الرقة لا تستهجن فى الشعر كله، وإنما تعاب فى غير موضعها: "فمن ذا الذى يسمع الأغانى الشائعة فى أيامنا هذه ممن استقامت فطرتهم وسلمت من المسخ أذواقهم، فلا يخجله أن يكون هذا الطنين الخافت صدى نفوس آدمية ينتسب إليها وتنتسب إليه"[١٣٢]. ويقول مصطفى محمود فى سياق شرحه دعواه بأن الدين هو الحب القديم والحنين الدائم إلى الوطن الأصل، وأنه ليس — كما يفهم الناس- مجموعة الأوامر والنواهى ولوائح العقاب: "ولا نفيق على هذا الحنين إلا لحظة يحيطنا القبح والظلم والعبث

والفوضى والاضطراب فى هذا العالم، فشعر أننا غرباء عنه، وأننا لسنا منه وإنما مجرد زوار وعابرى طريق"[١٣٤].

فى كلام العقاد كانت "سلمت من المسخ أذواقهم" توضيحاً لـ "استقامت فطرتهم"، وفى كلام مصطفى محمود كانت "أننا لسنا منه وإنما مجرد زوار وعابرى طريق" توضيحاً لـ"أننا غرباء".

تكرير المضمون على مستوى جملتين أو أكثر أوسع من غيره مدى فى نص الخطاب، ولعله-من أجل ذلك- أبلغ أثراً فى إقناع المخاطب بوجهة نظر المتكلم أو دعواه أو مصداقيته أو دحض دعوى الخصم مرة بعد أخرى.

مما سبق يمكن عرض نموذج التكرير فى النص الحجاجى العربى على النحو التالى:

وفيما يلى جداول تفصيلية بإحصاءات الأنواع المختلفة لتكرير المضمون:

❑ الكندى (العدد ١٥)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٤	٪٢٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	٣	٪٢٠
بين مفردتين فى جملتين.	٢	٪١٣.٣
بين جملتين أو أكثر.	٦	٪٤٠

❑ إخوان الصفا (العدد ٣)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٢	٪٦٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	١	٪٣٣.٣
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	X	X

❑ مكاتبة الإخشيد (العدد ٢٥)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١٢	٪٤٨
بين مفردتين فى ثنائية.	١٠	٪٤٠
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	٣	٪١٢

❑ طه حسين (العدد ١٥)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١٠	٪٦٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	X	X
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	٥	٪٣٣.٣

❑ العقاد (العدد ٢٢)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١٠	٪٤٥.٤

بين مفردتين فى ثنائية.	٣	٪١٣.٦
بين مفردتين فى جملتين.	٣	٪١٣.٦
بين جملتين أو أكثر.	٦	٪٢٧.٣

❑ المازنى (العدد ٢)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١	٪٥٠
بين مفردتين فى ثنائية.	١	٪٥٠
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	X	X

❑ خالد محمد خالد (العدد ٣)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٢	٪٦٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	X	X
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	١	٪٣٣.٣

❑ محمد زكى عبد القادر (العدد ٥)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٥	٪١٠٠
بين مفردتين فى ثنائية.	X	X
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	X	X

❑ مصطفى محمود (العدد ٢١)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	١٤	٪٦٦.٦
بين مفردتين فى ثنائية.	١	٪٤.٨
بين مفردتين فى جملتين.	X	X
بين جملتين أو أكثر.	٦	٪٢٨.٦

❑ الإحصاء الإجمالى (العدد ١١١)

النوع	العدد	النسبة
بين مفردتين أو أكثر فى جملة واحدة	٦٠	٪٥٤
بين مفردتين فى ثنائية.	١٩	٪١٧.١
بين مفردتين فى جملتين.	٥	٪٤.٥
بين جملتين أو أكثر.	٢٧	٪٢٤.٣

ب/٢ بنية التوازي

قدم هاليداى M. A. K. Halliday فى كتابه (مدخل إلى النحو الوظيفى An Introduction to Functional Grammar) منهجاً لدراسة التوازى، هو الأدق والأوفى حتى الآن. وهو منهج يصلح تطبيقه على العربية، على نحو ما نثبت فى هذه الدراسة. فصل هاليداى منهجه فى التوازى تفصيلاً مبيناً. نعرض منهجه هنا موجزين — قدر المستطاع– تيسيراً لمتابعة معالجة التوازى فى نصوص الدراسة.

التوازى Parataxis عنده ربط بين عناصر متساوية فى الحال equal status. هناك عنصر سابق initiating وعنصر آخر متصل به أو لاحق Continuing. كل من هذين العنصرين حر، أى له كيانه الوظيفى الكامل. ويميز هنا بين التوازى على النحو السابق، والتركيب Hypotaxis ؛ فالتركيب ربط بين عناصر غير متساوية الحالة، فهناك العنصر المتحكم، وهو عنصر حر، والعنصر المتحكم فيه، وهو غير حر. وكل منطوق خليط من السلاسل المتوازية والمتراكبة. مثال ذلك:

– سأفعل إذا استطعت ولكننى لن أستطيع

١ أ ١ ب ٢

نرى هنا علاقة تواز بين: "سأفعل إن استطعت" و "لكننى لن أستطيع". وتبين هذه العلاقة هكذا: ١ ٢ . ونرى أيضاً علاقة تراكب بين "سأفعل" و "إن استطعت". وتبين هذه العلاقة هكذا: أ ب.

يحدد هاليداى العلاقات الدلالية– المنطقية التى تقع بين العنصرين: السابق، واللاحق– فى بنية التوازي– فى علاقتين رئيسيتين اثنتين:

(١) علاقة التمديد Expansion: وتعنى تمديد الجملة الثانية للجملة الأولى بإحدى الطرق الثلاث التالية:

(الطريقة الأولي) الإحكام ("مساو"): فالجملة الثانية تحكم الأولى كلية أو تحكم جزءاً منها، وذلك بأن تقررها بعبارة أخرى، أو بأن تحددها على نحو أكثر تفصيلاً، أو بأن تعقب عليها، أو بأن توضحها بمثل:

– فلان لم ينتظر، جرى بعيداً

١ =٢

الجملة الثانية لا تدخل عنصراً جديداً إلى الصورة، بل تشخص عنصراً مذكوراً بالفعل تشخيصاً أكثر، بأن تقرره أو توضحه أو تنقحه، أو بإضافة خاصة أو تعليق وصفيين.

(الطريقة الثانية) الإطالة + ("يضاف إلى"): وذلك بأن تمد الجملة الثانية الجملة الأولى بإطالتها عن طريق إضافة عنصر جديد، أو بأن تستثنى منها شيئاً، أو بأن تعرض بديلا (الواو، أو):

– فلان جرى بعيداً، واختبأ فلان وراءه.

١ +٢

(الطريقة الثالثة) التعظيم × ("تكاثر بواسطة"): وذلك بأن تمد الجملة الثانية الجملة الأولى بتنميقها بوساطة تكييفها مع ظرف زمانى أو مكانى أو علة أو شرط (هكذا، كذلك، لهذا السبب، مع ذلك، مع أن، على أن، إذن، من ثم، حينئذ، إذ ذاك .):

– كان فلان مذعوراً، ولهذا جرى بعيداً.

١ ×٢

علاقة التصميم Projection: وتعنى أن الجملة الثانية تصمم من خلال الجملة الأولى. وللجملة المصممة حالتان:

(الحالة الأولي) أن تكون ملفوظاً ("يقول") (أى تنصيص مزدوج): وذلك بأن تصمم الثانية على أنها ملفوظ as locution أو بناء لفظى:

– قال فلان : "سأجرى بعيداً"

١ "٢

(الحالة الثانية) أن تكون فكرة (يُفكرُ) (أى تنصيص مفرد): وذلك بأن تصمم الثانية على أنها فكرة أو بناء معنوى.

– فكر فلان فى نفسه، : سأجرى بعيداً.[١٣٥]

١ ٢

العلاقات المنطقية–الدلالية التى تحكم علاقة التوازى وطرق هذه العلاقات، هى ذاتها التى تحكم علاقة التراكب، ولكن طبيعة علاقة جزأى المنطوق أو المركب الجملى أو العبارى أحدهما بالآخر تميز بين التوازى والتراكيب. الجدول التالى يبين هذا التمايز:

العلاقة	الطريقة	التوازى	التراكب
	الإحكام	س لم ينتظر، جرى بعيداً ١ =٢	س جرى بعيداً. مما فاجأ الجميع أ = ب
	الإطالة	س جرى بعيداً، واختبأ ص وراءه ١ +٢	س جرى بعيداً، بينما ص يختبأ وراءه أ + ب
	التعظيم	كان س مذعوراً، ولهذا جرى بعيداً ١ ×٢	س جرى بعيداً، لأنه كان مذعوراً أ × ب
التصميم	التلفظ	قال س: "سأجرى بعيداً" ١ "٢	قال س بأنه كان يجرى بعيداً أ "ب
	الفكرة	فكر س فى نفسه، : "سأجرى بعيداً" ١ ٢	فكر س أن يجرى بعيداً أ ب

يتضح من الأمثلة السابقة بالجدول:

١– أن الرقم ١ يشير — فى علاقة التوازي– إلى الجملة السابقة، وأن الرقم ٢ يشير إلى الجملة اللاحقة. وكل منهما يماثل الآخر.

٢– أن الحرف أ يشير — فى علاقة التراكب– إلى الجملة الحاكمة، وأن الحرف ب يشير إلى الجملة المحكومة، أى أن الجملة الحاكمة تقوم على تكييف الجملة الأخرى المحكومة.

فى تفصيل أنماط التمديد، يبدأ هاليداى بالإحكام Elaborating ، فيجعل له ثلاث صور:

(الأولي) العرض Exposition : وفى العرض ترتبط الجملة الثانية الفرضية الموجودة بالجملة الأولى بتعبير آخر، لتقديمها من وجهة نظر أخرى.

وربما لا يكون ذلك إلا لتقوية الرسالة، نحو:

- ❑ تلك الساعة لا تمشى، إنها لا تعمل.
- ❑ ليست كلبة استعراض، لا أبيعها على أنها كلبة استعراض.
- ❑ تدحض إحدى الحجتين الأخرى، كلتاهما ليست صحيحة.

يمكن أن تكون العلاقة بين الجملتين صريحة، وذاك إذا استخدمت الروابط مثل: أو، بالأحرى، بعبارة أخرى، ويمكن أن يقال، أى.

(الثانية) الشرح بالتمثيل Exemplification: وذلك بأن تطور الجملة الثانية الفرضية الموجودة بالجملة الأولى بأن تخصصها أو تحددها على نحو أشد. وغالباً ما يكون ذلك بالتمثيل الفعلى، نحو:

- ❑ دخلنا فى سباق. دخلنا فى سباق المجموعات.
- ❑ وجهك مثل وجه سائر الناس. هكذا العينان، وأنف فى الوسط، وفم أسفل منه.

فى هذه الصورة، تستخدم الروابط الصريحة: مثلاً، وعلى سبيل المثال، وعلى سبيل الاستشهاد، ونحو، مثل، وبخاصة.

(الثالثة) التوضيح Clarification: فى هذه الصورة توضح الجملة الثانية الفرضية الموجودة بالجملة الأولى بإحدى أساليب التوضيح أو بتعقيب توضيحى:

- ❑ تنظر فلانة حائرة، كانت تفكر فى البودينج.
- ❑ كانت حيوانات للاستعراض، اشتريناها فقط لأنها أليفة.
- ❑ لم يقل لها شيئاً قط، الحق أن ملحوظتها السابقة كانت نحو الشجرة.
- ❑ لم أفاجأ، كان ذلك ما توقعته.

يشيع فى هذه الصورة تعبيرات مثل: الحق، حقاً، فى الحقيقة، فعلاً، على الأقل. وليست هذه الروابط مؤشرات بنائية على علاقة التوازى. إنها مؤشرات سبكية Cohesive أكثر منها بنائية Structural. ويغلب جداً أن تتجاوز الجملتان (من غير رابط).

أما الإطالة Extending فلها صورتان اثنتان:

(الأولي) الإضافة addition: وذلك بأن يضم نسق إلى آخر من غير أن يستلزم ذلك أى علاقة سببية أو زمنية بهما، مثل:

- ❑ يربى الدجاج، وترعى زوجته الحديقة.
- ❑ إنها لا تعطى أى تعليمات، ولا تساعد إن أعطت.

غالباً ما تصحب الإضافات المتوازية بمواد سبكية مثل: أيضاً، وكذلك، وبالإضافة إلى، وفضلاً عن ذلك، ومن ناحية أخرى.

(الثانية) التنويع Variation: وذلك بأن تقدم الجملة على أنها البديل الكلى أو الجزئى لجملة أخرى:

- ❑ لا تقف ناظراً إلى نفسك هكذا، ولكن أخبرنى عن اسمك وعملك.

- هم يعملون عملاً طيباً، غير أنهم كانوا فيه متكاسلين.
- أريد أن أتركك الآن، بيد أننى لا أجد معى رقم هاتفك.

الروابط السببية التى تصاحب هذه الصورة هى: على العكس من، وبدلاً من ذلك، ومن ناحية أخرين على الرغم من ، وغير (بيد) أن.

تدرج المعلومات السابقة فى الجدول التالى على هذا النحو:

النـــــــوع	المعنـــــى
(١) إضافة	س و ص
" و ": إضافة – إيجابية	لا س ولا ص
" ليس " : إضافة – سلبية.	س وعلى العكس من ذلك ص
" لكن " : استدراكية	
(٢) تنويع	
"على رغم من" : استبدال }يسد مسد{	ليس س ولكن ص
"غير أن" : طرح أو إسقاط	س وليس كل س
"لكـــن" : بديل	س أو ص

وأما التعظيم Enhancing ، فتكيف فيه الجملة الأولى الجملة الثانية بإحدى الطرق الممكنة، كالإشارة إلى الزمان، أو إلى المكان، أو إلى الطريقة، أو إلى السبب، أو إلى الشرط، أو إلى الحالة[١٣٦].

يدلنا فحص النصوص الحجاجية المختارة لهذه الدراسة– فى ضوء منهج هاليداى فى التوازي– يدلنا على أن العلاقات المنطقية– الدلالية التى تقع بين العنصرين: السابق، واللاحق فى بنية التوازى، قد تجلت فى كثير من تلك النصوص فى نمطيها المذكورين عنده: علاقة التمديد، وعلاقة التصميم.

(١) علاقة التمديد

أما علاقة التمديد، فقد وقعت فى تلك النصوص بطرائقها الثلاث التى حددها هاليداى جميعاً:

(أ) فالتمديد بالإحكام: نرى له نماذج مختلفة سواء فى صورة العرض أم الشرح أم التوضيح:

(أولاً) الإحكام فى صورة العرض: ومنه قول الكندى:

– فاحذرهم كل الحذر، ولا تأمنوهم على حال[١٣٧].

١ =٢

قول المازنى:

– (عظماء الدنيا) يمتازون بالبساطة. ولا يعرفون هذه الأصول المستحدثة[١٣٨].

١ =٢

وقول طه حسين عن الرافعى:

- يفلسف فى الجمال والحب، أى يضع نفسه، بين الفلاسفة[١٣٩].

١ =٢

وقوله:

- الثورة عرض والانحطاط عرض، كلاهما يزول . [١٤٠].

١ =٢

فيما سبق استخدمت الروابط مثل: الواو، أى، ولكن كثر إسقاطها فى حالات أخرى.

(ثانياً) الإحكام فى صورة الشرح: ومنه قول طه حسين:

- (أنصار القديم) يحيون حياتهم كارهين:

١

يأخذون بلذاتها ويحتملون آلامها دون أن يكون لهم فى شئ من ذلك رأي[١٤١].

=٢

وقوله عن الرافعى:

- هو متكلف يعرض لما لا يعلم ويصف ما لا يحس[١٤٢].

وقول محمد زكى عبد القادر:

- تستبد به النزوات، نزوات المال أو السلطان[١٤٣].

١ =٢

(ثالثاً): الإحكام فى صورة التوضيح: ومنه قول إخوان الصفا:

- (مسألة الإمامة) باقية إلى يومنا هذا، لم تنفصل [١٤٤].

١ =٢

وقول طه حسين:

- لم ينكر الفرنسيون ذلك (أن يضيف غيرهم إلى لغتهم)، وإنما قبلوه[١٤٥].

١ =٢

وقوله:

- اللغة ليست من وحى السماء، وإنما هى ظاهرة من ظواهر الاجتماع الإنساني[١٤٦].

١ =٢

ومما يلاحظ فى التمديد بالإحكام أن النص الحجاجى العربى يميل إلى الإحكام بالتوضيح والإحكام بالعرض ميلاً أقوى، وإن كان ميله إلى الإحكام بالتوضيح هو الأقوى على الإطلاق.

(ب) وأما التمديد بالإطالة، فنرى له أيضاً نماذج مختلفة من صورتيه:

الإطالة بالإضافة، والإطالة بالتنويع.

(أولاً) من الإطالة بالإضافة: قول مصطفى محمود:

– الابـــــن يقتل أبـــــــاه ، والأم تقتـــــل ابنهـــــا [١٤٧].

١ +٢

والإطالة بالإضافة نمط بارز جداً عند مصطفى محمود بوجه خاص.

(ثانياً) ومن الإطالة بالتنويع: قول محمد زكى عبد القادر:

– من الألم ينبع كل شئ عظيم، ولكن ليس كل ألم ينبع منه شئ عظيم[١٤٨].

١ +٢

يعبر عن الصورة السابقة من الإطالة بالتنويع هكذا.

س ولكن ليس كل س، أى هى إطالة باستثناء شئ ما من العنصر السابق.

ومن الإطالة بالتنويع أيضاً قول إخوان الصفا:

– لم يضف الله إلى نبوة محمد الملك لرغبته فى الدنيا،

١

ولكن أراد الله أن يجمع لأمته الدين والدنيا جميعاً[١٤٩].

+٢

ويعبر عن هذه الصورة هكذا: ليس س ولكن ص.

(ج) وأما التمديد بالتعظيم، فنرى له فى نصوصنا الحجاجية المختارة صوراً عدة، من أهمها ما يلى:

(أولاً) التعظيم بالإشارة إلى الزمان، ومنه قول إخوان الصفا:

– أقام النبى بمكة نحواً من اثنتى عشرة سنة،

١

ثم هـــاجـــر بعـــــد ذلك إلى المدينة[١٤٩].

×٢

وتسمى هذه الصورة بالتعظيم الزمانى المتقدم، أى: أ قبل ب.

(ثانياً) التعظيم بالطريقة، ومنه قول إخوان الصفا أيضاً:

– كان يوسف الصديق من الزاهدين فى الدنيا،

١

وهكذا كان داود (عليه السلام) وسليمان (عليه السلام) [١٥٠].

×٢

وقولهم أيضاً:

– كان سليمان زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة[١٥١].

١

وهكذا كان النبى (عليه السلام) زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة[١٥١].

٢×

ما سبق يمثل التوازى فى علاقة التمديد بالتعظيم فى هيئة الطريقة من النوع الثانى وهو المقارنة. "هكذا" فيما سبق تعنى: "بهذه الطريقة". ويقصد بها فى هذه البنية من بنى التوازى المقارنة. هذه العلاقة نراها شائعة شيوعاً خاصاً فى نصوص إخوان الصفا.

(ثالثاً) التعظيم فى هيئة العلاقة: سبب أثر، ومنه قول طه حسين:

– كان القدماء صادقين حين يكتبون، ومن هنا فهمنا القدماء[١٥٢].

١ ٢×

تبرهن نصوص الدراسة على أن طه حسين أكثر الحجاجيين اعتماداً على هذه العلاقة.

(١) علاقة التصميم

كان الاعتماد الرئيس فى بنية التوازى بالنصوص الحجاجية التى بين أيدينا على علاقة التمديد. أما حالات التصميم، فعددها بعدد حالات مقول القول، سواء أكانت لصاحب النص أم لغيره. وهى قليلة جداً إذا قورنت بعلاقة التمديد.

من التصميم بالقول قول إخوان الصفا:

– قال أزدشير: إن الملك والدين أخوان توأمان[١٥٣].

١ ٢"

ومنه قول الكندى:

– قال (صاحبنا لبنى تغلب): إنى والله كنت أجرى ما جرى هذا الغيل[١٥٤].

١ ٢"

ومن التصميم بالفكرة قول طه حسين:

– قدرت فى نفسى (شيئاً آخر): لو أن للرافعى حظاً من الإنصاف..[١٥٥].

١ ٢'

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ندرة التصميم بالفكرة فى النصوص الحجاجية العربية ندرة بالغة.

التوازى بالمفهوم الإصطلاحى عند هاليداى بنية تركيبية أثيرة فى خطاب الحجاج العربى. فى هذا الخطاب تبدو بنية التوازى استراتيجية مهمة من استراتيجيات الإقناع بوجهة النظر. فضلاً عن تقاطع بنية التوازى أحياناً مع بنية التكرير المضمونى، على نحو ما يمكن أن نرى فى بعض نماذج طرائق التمديد؛ كقول الكندى: "فاحذروهم ولا تأمنوهم"، أو قول طه حسين: "الثورة عرض والانحطاط عرض، كلاهما يزول"، نرى كذلك إطناباً قصد به الإقناع فى بعض حالات التمديد بالعرض والشرح والتوضيح. ولكن ليس كل ألم "، فإنه يستعين بالنسق: س ولكن ليس كل س، على إقناع القارئ بمصداقيته: الكاتب يظهر استقصاءه الذى لا يشك فى دقته، إذن سنطمئن إلى صدق دعواه.

كذلك الحال مع النسق الآخر: ليس س ولكن ص، الذى يقدم العنصر الأول من بنية التوازى بطريقة تفرض على المخاطب أن يستنتج العنصر الثانى؛ أى أنه يقدم العنصر الأول

لصلحة حصر المعنى فى العنصر الثانى. المتكلم يقول للمخاطب: أهمل المعنى أو الفكرة في١ واعتمد فقط على +٢. بعبارة أخرى: ترسم +٢ حركة حجاجية معاكسة- أو على الأقل مخالفة- لوجهة النظر في١.

ب/٣ بنية الازدواج

من المعروف أن "المزدوج" من أقسام الشعر، وهو ما أتى على قافيتين قافيتين إلى آخر القصيدة. يمكن للوهلة الأولى النظر إلى "المزدوج" فى النثر على أنه من باب حكايته بنية إيقاعية جوهرية فى الشعر ذات تأثير سمعى وعاطفى فى المستمع، ولكننا نحسبه أصيلاً فى نثر لغة ذات أصول شفاهية.

عولج المزدوج عند البيانيين مظهراً من مظاهر الجودة فى صناعة الكلام. يستخلص من جملة ما ذكره القدماء عن الازدواج وما اختاروا له من نماذج من كلام العرب:

١- أن الازدواج تكوينات كلامية متوازنة الأجزاء فى عدد وحداتها اللغوية، وهيئات ترتيبها، وفواصلها.

٢- أن الازدواج يقع أيضاً، على رغم الاختلاف بين الأجزاء فى أحد الاعتبارات الثلاثة السابقة. بل فى اعتبارين اثنين منها أحياناً.

٣- إذا لم يقع التوازن بين الأجزاء فى الطول، فالأفضل أن يكون الجزء الأخير أطول، وإن كان ورد فى كلام العرب الفصحاء ما كان فيه الجزء الأخير أقصر.

٤- توازن الأجزاء توازناً كلياً أجمل وجوه التوازن.

٥- فضلاً عما للتوازن من أثر سمعى إيجابى فى رونق الكلام، فإن له علاقته بتمكين معناه[١٥٦].

ومهما يكن من أمر. فإن استقراء نصوص الدراسة من حيث الاعتبارات المختلفة التى توفر للعبارات المزدوجة توازنا. يدلنا على إمكان تصنيف التوازن فى أنواع ثمانية. يعرضها الجدول التالى (العلامة + تغنى توفر الخاصية):

الاتفاق فى الزنة		الاتفاق فى الترتيب	الاتفاق فى الفاصلة
تام	ناقص		
+		+	+
	+	+	+
		+	+
	+		+
+			+
	+	+	
		+	
		+	

وفيما يلى تفصيل تلك الأنواع:

(النوع الأول) التوازن بين الأجزاء بالاتفاق التام فى زنة الوحدات وعددها وهيئة ترتيبها، وفى الفاصلة: ومن ذلك قول الكندى فى سياق تبريره دعواه: "اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله، وعن باكورات الفاكهة، فإن للنفس عند كل طارف نزوة وعند كل هاجم بدوة"[١٥٧].

(النوع الثاني) التوازن بين الأجزاء بالاتفاق فى زنة وحداتها اتفاقاً ناقصاً، فضلاً عن الاتفاق فى الترتيب والفاصلة: ومن ذلك قول الإخشيد مخاطباً أرمانوس: "والذى تجشمته من مكاتبتنا إن كان كما وصفته، فهو أمر سهل يسير، لأمر عظيم خطير"[١٥٨].

(النوع الثالث) التوازن بين الأجزاء بالاتفاق فى الترتيب والفاصلة دون زنة الوحدات: ومن ذلك قول العقاد: "كانت تسمع أكثر الأصوات تنوع نبرات، وتفاوت مقامات"[١٥٩].

(النوع الرابع) التوازن بالاتفاق فى زنة الوحدات اتفاقاً ناقصاً مع الاتفاق فى الفاصلة دون الترتيب. ومن ذلك قول العقاد فى سياق استهجانه تكلف الرقة فى الشعر: "فقد يتم هذا الكلف على داء دخيل، ويشف عن ذبول فى الطباع غير جميل"[١٦٠].

(النوع الخامس) التوازن بالاتفاق فى الفاصلة دون سائر الملامح الأخرى: ومن ذلك قول الكندى فى سياق تبريره دعواه: "ورسول الله ﷺ لم يرحم عيالنا إلا بفضل رحمته لنا".[١٦١].

(النوع السادس) التوازن بالاتفاق فى زنة الوحدات اتفاقاً تاماً وفى الترتيب دون الفاصلة: ومن ذلك قول طه حسين فى سياق تقرير معطياته للجدل فى مسألة القديم والجديد: "كان هذا الانتقال نفسه، موجوداً للخلاف بين جديد طارئ وقديم زائل"[١٦٢].

(النوع السابع) التوازن بالاتفاق الناقص فى زنة الوحدات، والاتفاق فى الترتيب دون الفاصلة: ومن ذلك قول الكندى مقرراً دعواه عن المال: "واتفاقه هو إتلافه، وإن حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللقب" [١٦٣].

ومنه قوله أيضاً فى سياق احتجاجه على من أنفق ماله: "فمدحتم من مدح صنوف الخطأ، وذممتم من جمع صنوف الصواب"[١٦٤].

(النوع الثامن) التوازن بالاتفاق فى ترتيب الوحدات فقط: ومن ذلك قول خالد محمد خالد فى سياق تبرير دعواه: "فالديمقراطية حركة مجتمع، وسبيل أمة، ومنهج دستور"[١٦٥]. وقد يبدو هذا النوع فى هيئة التقسيم الحسن الذى تكرر فيه بعض الوحدات؛ كقول محمد زكى عبد القادر فى سياق احتياطه لدعواه: " ولا تصور للسعادة من غير شقوة تضاهيها، ولا تصور للنجاح من غير فشل يسبقه"[١٦٦]. وقد يبدو فى أحيان أخرى أقل فى هيئة التقسيم الحسن الذى تكرر فيه بعض الوحدات مع تقفية قبل نهاية الجزء. من ذلك مثلاً قول طه حسين فى سياق تدعيم تبريره: "وثق أنهم ليسوا أقل الناس استمتاعاً بلذات الحياة، وليسوا أقل الناس استبشاعاً لما فيها من بشع"[١٦٧].

مما يلاحظ هنا أن الأنواع السابقة من ١-٣ أكثر وقوعاً فى النص الحجاجى العربى القديم منه فى النص الحجاجى الجديد الحديث. يرتبط هذا بالطبع بسمات النسق الكتابى العامة أو الغالبة بين كلا العهدين. ويلاحظ — من ناحية أخرى — أن الأنواع من ٤-٨ أكثر من سابقاتها وقوعاً فى النصوص الحجاجية العربية بعامة، وإن كان النص الحجاجى العربى الحديث يبدى ناحيتها ميلاً أقوى.

ينبغى الإشارة أيضاً إلى أن نصوص الحجاج الحديثة تتفاوت فيما بينها احتفاء ببنية الازدواج. يقل الازدواج عند العقاد، ويندر عند المازنى وخالد محمد خالد ومحمد زكى عبد القادر ومصطفى محمود. ولكنه أكثر من ذلك وقوعاً- فى صوره الأربع الأخيرة مما سبق — عند طه حسين. وإذا نظرنا إلى الازدواج من منظور الوحدة التركيبية التى يقع فيها، كأن يكون ازدواجاً

بين عبارات من جملة واحدة، أو ازدواجاً بين جمل تامة قائمة بذواتها، لرأينا طه حسين أكثر ميلاً إلى استخدام الازدواج بين الجمل. وإذا قارنا بين نصوص اثنين من القدماء هما الكندى والإخشيد (الذى يعكس له كاتبه فى رسالته إلى أرمانوس طراز العصر فى الكتابة الحجاجية) واثنين من المحدثين هما طه حسين والعقاد، لرأينا أن الازدواج فى النصوص الحجاجية القديمة يكاد يكون قسمة بين وقوعه فى العبارات ووقوعه فى الجمل، ولكن الغلبة فى النصوص الحجاجية الحديثة تبدو للازدواج بين جمل تامة. والجدول الإحصائى التالى يبين ذلك:

	بين عبارات من جملة	بين جمل تامة
طه حسين	٪٢٨.٦	٪٧١.٤
العقـــــاد	٪١٦.٦	٪٨٣.٣

من الناحية الدلالية، تتقاطع حالات التوازن مع حالات ينتظمها تكرير المضمون أو التقابل أو التخالف. تجمع الجملتان: "خارت عزائمها ومارت دعائمها" فى كلام العقاد بين التوازن والتكرير المضمونى. ويجمع الجزآن فى جملتين: "فمدحتم من مدح صنوف الخطأ، وذممتم من جمع صنوف الصواب" فى كلام الكندى بين التوازن والمقابلة. وتجمع الجملتان: "يقرءون مثل هذا الشر ويحتملون مثل هذا المنكر" فى كلام طه حسين بين التوازن والمخالفة فى المعنى.

ومما ينبغى الإشارة إليه هنا أن حالات تقاطع التوازن بالتكرير المضمونى يمثل ما يقرب من ثلاثة أرباع حالات تقاطعه مع العلاقات الدلالية الأخرى بين الأجزاء المتوازنة. وهذه مسألة مهمة للغاية لكل من التوازن والتكرير المضمونى. نحن أمام مثل هذا القدر من العبارات والجمل المتوازنة على مستوى الشكل والمترادفة أو شبه المترادفة على مستوى المضمون. وهذه هى المنطقة المركزية الأهم التى تتفاعل فيها البنية والدلالة وتشتغلان معاً فى النص الحجاجى العربى وقد تهيأت له مكوناته الحجاجية المختلفة قصداً إلى تثبيت التبرير أو إقناع الخصم والمخاطب بعامة بصدق دعوى الحجاج.

إذا كان التوازى — بمفهومه الاصطلاحى الذى رأيناه آنفاً — بنية تركيبية تربط بين عنصريها علاقات دلالية منطقية. فإن التوازن على نحو ما نرى بنية تركيبية تربط بين عنصريها علاقات سمعية من طول وزنة وفاصلة تعكس فكراً مرتباً متزناً مقنعاً.

والحق أن بعض الباحثين المعاصرين من العرب والمستشرقين قد خلط خلطاً ذريعاً بين التوازى والتوازن. أولى بما ذكره عدنان جبورى وباربرا جونسون كوتش من حالات للتوازى أن تعد من حالات التوازن:

حلل عدنان جبورى نصاً حجاجياً لمصطفى أمين فى عموده الذى كان معروفاً تحت عنوان "فكرة". من أمثلة جبورى على التوازى فى هذا النص قول مصطفى أمين: "وكم من أحزاب حكمت ثم حوكمت، وتولت ثم اندثرت، وارتفعت ثم سقطت".[١٦٨].

وحللت باربرا جونستون عدداً من النصوص الحجاجية تقع فى النصف الثانى من القرن العشرين. من أمثلة باربرا على التوازى النصان التاليان:

(١) ظل الألمان منقسمين بين عشرات الدول والدويلات المستقلة، وظل الطليان موزعين على ثمانى وحدات سياسية، والبولونيون مقسومين بين ثلاث دول قوية، واليوغوسلافيون خاضعين إلى حكم دولتين عظيمتين".

وتسمى باربرا هذا النوع باسم التوازى الكاشف Listing parallelism، وهو — كما تقول — نوع من التوازى الضيق المحكم بين عبارات كاملة، تتميز بأنها أجزاء من النص، تكشف عن أمثلة وتفاصيل.

(٢) "فكان من الطبيعى أن تنشأ الفكرة القومية، وتترعرع وتقوى بسرعة كبيرة فى البلاد الألمانية بعد النكبات التى توالت عليها خلال تلك الحروب. وكان من الطبيعى أن ينتشر فيها الإيمان بوحدة الأمة الألمانية. وكان من الطبيعى أن يدفع هذا الإيمان مفكرى ألمانيا وساستها إلى مكافحة النزعات الإقليمية بكل قوة وحماسة".

وتسمى هذا النوع باسم " التوازن التراكمى Cumulative parallelism ". وتعرفه بأنه نوع من التوازى غير التام على نحو ما كان فى المثال الأول. وهو تراكمى لأن العناصر الثلاثة "كان من الطبيعى" من نوع التأثير التراكمى، وذلك أن كل عنصر يبنى على العنصر الذى يسبقه(١٦٩).

نرى أن حالات التوازى عند هذين الباحثين ينبغى لها أن تدرج فى حالات التوازن. هى ليست من التوازى بمفهومه الاصطلاحى فى شئ، إلا إذا التمسنا لها وجهاً من كلام القدماء. أورد أبو هلال العسكرى أمثلة عدة على المزدوج من كلام الأعراب، حوفظ فيها غالباً على الطول والترتيب والفاصلة، ثم علق عليها قائلاً: "فهذه الفصول متوازية لا زيادة فى بعض أجزائها على بعض بل فى القليل منها، وقليل ذلك مغتفر لا يعتد به"(١٧٠). قصد بالتوازى هنا – فيما يفيد السياق– سوق كل جزء بإزاء الآخر وعلى شاكلته فى الطول والفصل والترتيب. ولكننا الآن، وقد صار التوازى يعنى فى المفهوم الاصطلاحى شيئاً آخر مختلفاً، لا نرى للخلط بينهما وتسمية أحدهما باسم الآخر وجهاً سائغاً.

وعلى عكس جبورى وباربرا، فهمت شيرلى أوستلر Schirley Ostler التوازن على حقيقته. من الناحية النحوية، تبدو العربية – وفقاً لشيرلى – مجاهدة من أجل تحقيق التوازن Balance، على معنى التوافق الإيقاعى بين عناصر مترابطة. وهى ترى هذا التوافق (أو السيـــــمترية) على مستوى نظم الجملة، وفى تساوى عدد الوحدات المعجمية بين الجمل والعبـــــارات(١٧١).

الهوامش:

(١) راجع فى تفصيل ذلك:

دوبوجراند (روبرت): **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة (١٤١٨ هـــ– ١٩٩٨م) ص٤١١.

حاتم (باسل) – ميسون (إيان): **الخطاب والمترجم**، ترجمة د. عمر فايز عطارى، النشر العلمى والمطابع بجامعة الملك سعود، الرياض (١٤١٩هـــ–١٩٩٨م) ص٢١٥–٢١٦.

- Brinker, Klaus: linguistische Textanalyse. Eine Einfuehrung in Grundbegriffe und Methoden. 3., durchges. und erw. Aufl. (1992) S. 131.

(2) Brinker, Op. Cit., SS. 133-139.

(٣) **النص الخطاب والإجراء**، مرجع سابق ص٤١٥–٤١٦.

(٤) راجع فى تفصيل ذلك:

- Guelich, Elizabeth-Raible, Wolfgang: Textsorten Probleme. IN: Linguistische Probleme der **Textanalyse. Schwann**. Duesseldorf. I Auflage (1975). SS. 144-197, SS. 146-147

(5) Andersen, Jerry, M, - Dovre, Paul, J.: **Readings in Argumentation**. Allyn and Bacon, Inc. Boston (1968) P.3

(6) Huber, Robert, B.: **Influencing through Argument.** David Mc Kay Co. Inc. New York (1963) P.4

(7) MCBurney, J,- Mills, G. E.: **Argumentation and Debate**. Mac Millan Co. New York (1964) P.1.

(8)Fisher, Walter-Sayles, Edward: **The nature and Function of Argument**. In: Gerald R. Miller and Thomas R. Nilsen (eds.): Perspective on Argumentation. Scott, Foresman and Co. Chicago (1966) pp. 3-27, pp3-4.

(9)Perelman. Ch,- Tyteca, Olbrechts: **Traité de L'argumentation, Presses unversitairesde Lyon** (1981)p.92

(10)Rieke, Richard, D,- Sillars, Malcolm, O.: **Argumentation and the decision Making process,** John Wiley and Sons, Inc. USA (1975) pp.6-7.

(11)Mass, Utz: Sprachliches Handeln II: **Argumentation.** In: Hans Buehler (hersg.): Sprache 2. Fischer taschenbuch Verlag. Frankfurt (1973) SS.158-178, S. 158

(12) Schiffrin, Deborah: Everyday Argument: **The Organization of Diversity in Talk** In: Teun A. van Dijk (ed.): Handbook of Discourse Analysis,. Vol.3: Discourse and Dialogue. Academic Press. London. 3d. Edition (1989) pp. 35-46, p.35.

(13)Heinemann, Wolfgang-Viehweger, Dieter: **Textlinguistik.** Eine Einfuhrung. Max Niemeyer Verlag. Tuebingen (1991)S.249.

(14)Brandt, William, J.: **The Rhetoric of Argumentation.** 1 st. Printing. USA (1970) pVII

(١٥) راجع فى تفصيل ذلك:

Brandt, W.: **The Rhetoric**, op. cit. pp. 22-26.

(١٦) راجع فى تفصيل ذلك:

Rieke- Sillars: Argumentation, Op. Cit. Pp. 77-78

(١٧)المرجع السابق، ص١١٥.

(18)De Beaugrande, R-Dressler, W.: **An Introduction to Text linguistics.** (1981)p.148.

(19)Scheidel, Thomas, M.: **Persuasive Speaking. Scott**, Foresman and Co. Glenview (1967) p.1

(20)Freely, Austin, J.: **Argumentation and Debate**. Widsworth publishing Co. Belmont. 2nd. ed. (1966) p.7

(21)Martin, Howard, H.- Andersen, Kenneth, E.: **Speech Communication. Allyn and Bacon,** Inc., Boston (1968) p.6

(٢٢) يلحظ حافظ قويعة أن حجاج عبد القاهر فى الدلائل يقوده منطق قائم على قاعدة: "لا لأن ذلك يؤدى إلى ... " وهو – فى رأيه – منطق أقرب إلى آلية "سد الذرائع" عند الفقهاء:
قويعة (حافظ): سياق الحجاج فى دلائل الإعجاز، بحث منشور فى: **عبد القاهر الجرجانى** (أعمال ندوة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس (١٩٩٨م) ص٢٥٣-٢٦٣، ص٢٦٠.

(٢٣)ابن وهب (أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان): **البرهان فى وجوه البيان**. تحقيق: د. أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثى، ساعدت جامعة بغداد على نشره، (١٣٧٨هـ-١٩٦٧م)، ص٢٢٢.

(٢٤) المرجع السابق، ص٢٢٨،٢٢٥.

(٢٥)المرجع نفسه، ، ص٢٤٣،٢٤٢.

(٢٦) المرجع نفسه، ، ص٢٢٢.

(٢٧) المرجع نفسه، ، ص٢٣٥.

(٢٨) المرجع نفسه، ، ص٢٣٦-٢٣٩.

(٢٩) المرجع نفسه، ، ص٢٢٤.

(٣٠) المرجع نفسه، ، ص٢٤٠.

(٣١) المرجع نفسه، ، ص٢٣٧.

(٣٢) المرجع نفسه، ، ص٢٤٠.

(٣٣) المرجع نفسه، ، ص٢٣٩.

(٣٤) المرجع نفسه، ، ص٢٤٤،٢٤٣.

(٣٥) المرجع نفسه، ، ص٢٢٥.

(٣٦) راجع فى تفصيل ذلك:

Rieke-Sillars: Argumentation, Op. Cit. Pp2-3.

(٣٧) القرطاجنى (حازم): **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس (١٩٦٦)، ص٦٣.

(٣٨) ابن الأثير (ضياء الدين): **المثل السائر**، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفى ود.بدوى طبانة، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط٢ (١٩٧٣) ٢/٢٥٠.

(٣٩) المرجع السابق، ٢/٢٥٠.

(٤٠) **منهاج البلغاء**، ص٦٤ ، ومن طرق تحقيق التمويهات التى ذكرها حازم:

طى محل الكذب من القياس عن السامع.

اغتراره إياه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهها بما يكون صادقاً.

ترتيب القياس على وضع يوهم أنه صحيح لاشتباهه بالصحيح.

بالأمرين الأخيرين معا.

بإلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب بضروب من الإيداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل الواقع فى القياس (راجع فى تفصيل ذلك: **منهاج البلغاء**، ص٦٤).

(٤١) باسل حاتم: نموذج المجادلة من البلاغة العربية. بحث مترجم فى: **بحوث فى تحليل الخطاب الإقناعى**. اختيار وترجمة د.محمد العبد، دار الفكر العربي- القاهرة (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) ص ص ٣٩ -٦٠-٤٧ وقارن الأصل فى:

(42)Hatim, Basil: **A Model of Argumentation from Arabic Rhetoric. Insights for a Theory of Text Types**. British Society for Middle Eastern Studies. Bultin17,1: 47-54, p.49:

(43)Rieke-Sillars: Op. Cit. P97.

(٤٣) المرجع السابق، ص٩٩.

(٤٤) طـــه جسين: مقال "أحسن إلى وأنا مولاك"، من كتاب: **حديث الأربعاء**، دار المعارف بمصر، الطبعة ١٢ (١٩٨٩)، ٣/١٢٩.

(٤٥) إخـــوان الصفا: **رسائل إخوان الصفا**، عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)، ٤/٣٦.

(٤٦) المرجع السابق، ٤/٣٦.

(٤٧) إبـــراهيم عبد القادر المازنى: القدماء والمحدثون، من كتاب: **حصاد الهشيم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٩م)، ص٢٢.

(٤٨) **البرهان فى وجوه البيان**، مرجع سابق ص١٦.

(٤٩) المرجع السابق، ص١٤٦.

(٥٠) المرجع نفسه، ص١٤٦.

(٥١) طه حسين: مقال: أحسن إلى، من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣٠/١٢٧.

(٥٢) خالد محمد خالد: مقال: قضية تنتظر الفهم الصحيح، من كتابه: **دفاع عن الديمقراطية**، دار ثابت، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥)، ص١٧٨.

(53)Rieke-Sillars: P121.

(٥٤) عباس محمود العقاد: مقال: الغزل الطبيعى، من كتابه: **الفصول**، دار المعارف بمصر (١٩٨٦م)، ص٩٤.

(٥٥) المرجع السابق، مقال: الأدب العصرى، ص١٠٤.

(٥٦) مصطفى محمود: مقال: الحب القديم، من كتاب: **الإسلام فى خندق**، كتاب اليوم- دار أخبار اليوم، الطبعة٦ (١٩٩٤م)، ص٩.

(٥٧) راجع فى تفصيل ذلك: .Rieke-Sillars:Pp154-156

(٥٨) أحسن إلى وأنا مولاك، من: **حديث الأربعاء**، ٣/١٢٨.

(٥٩) قضية تنتظر الفهم الصحيح، من كتابه: **دفاع عن الديمقراطية**، ص١٧٦.

(٦٠) محمد زكى عبد القادر: مقال: من الألم ينبع كل شئ عظيم، من كتابه: **الله فى الإنسان**، كتاب اليوم- دار أخبار اليوم (١٩٩٢م)، ص١٥٢.

(٦١) الجاحظ (عثمان أبو عمرو بن بحر): **البخلاء**، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجرى، دار الكاتب المصري- القاهرة (١٩٤٨م) ص٧٨.

(62) Schnelle, Helmut: Zur Explikation des Begriffs "Argumentativer Text". In: **Linguistische Probleme der Textanalyse.** Schwann.1. Auflage (1975) SS. 4-76, S.67.

(٦٣) **البرهان**، مرجع سابق، ص٧٦-٧٨.

(٦٤) **رسائل إخوان الصفا**، مرجع سابق، ٢٨/٤.

(٦٥) راجع فى تفصيل ذلك:

Brandt, William: **The Rhetoric of Argumentation**, op. cit. P.24

(٦٦) المرجع السابق، ص٣٣.

(٦٧) **البخلاء** ص٧٨.

(٦٨) **رسائل إخوان الصفا**، ٣١/٤.

(٦٩) من مقال: القديم والجديد، من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣١/٣.

(٧٠) مقال "القدماء والمحدثون" من كتابه: **حصاد الهشيم**، ص٢٢٣.

(٧١) المرجع السابق، ص٢٢٣.

(72) Brandt, William: **The Rhetoric of Argumentation**, op. cit. P.24

وراجع فى شرح العلاقة بين الأقوال فى القياس المضمر: المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

(٧٣) مقال: أحسن إلى وأنا مولاك، من كتابه: **حديث الأربعاء**، ١٢٦/٣.

(٧٤) المرجع السابق، ص١٢٧.

(٧٥) **البرهان فى وجوه البيان**، ص١٣٤.

(٧٦) من مقال: الأدب ينهض فى عصور المشادة، من كتابه: **حصاد الهشيم**، ص٤٨.

(٧٧) من مقال: القديم والجديد، من: **حديث الأربعاء**، ٣١/٣.

(78) Brandt, William: **The Rhetoric of Argumentation**, op. cit. P.24

(٧٩) مقال: الجديد والقديم من : **حديث الأربعاء**، ٣١/٣.

(٨٠) مقال: تجربتنا مع الديمقراطية من: **دفاع عن الديمقراطية**، ص٣١.

(٨١) مقال: من الألم ينبع كل شئ عظيم، من: **الله فى الإنسان**، ص١٥١.

(82)Brandt, William: The **Rhetoric** P.32

(83)Koch, Barbara Johnstone: Presentation as Proof: The Language of Arabic Rhetoric, **Anthropological Linguistic**. Vol.25 No.1 (1983) pp. 47-60, p.47.

(٨٤) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط٥ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ١٠٤/١-١٠٥.

(٨٥) ابن الأثير (ضياء الدين): **المثل السائر**، مرجع سابق، ٢٩/٣، ٢٠، ١، ٤.

(٨٦) المرجع السابق، ١٧/٣.

(٨٧) المرجع نفسه، ٣/٣.

(٨٨) المرجع نفسه، ٢٧/٣.

(٨٩) المرجع نفسه، ٣/٣.

(٩٠) المرجع نفسه، ٢٧/٣.

(٩١) البيان والتبيين ١٠٤/١.

(92)Halliday, M.A.K.- Hasan, Ruqaiya: **Cohesion in English.** Longman. 5th. Impression (1983) pp.278-282.

(٩٣) المرجع السابق، ص٢٨٨.

(٩٤) العسكرى (أبو هلال): **كتاب الصناعتين**، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبى الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربى، (١٣٧١هـ-١٩٥٢م)، ص١٥٦.

(٩٥) المرجع السابق، ص١٥٧.

(96) Ostler, Schirley, E.: **English in Parallels**: A Comparison of English and Arabic Prose. South California Uni. Pp.169-185 p.172.

(97) Koch, B. J.: Presentation, op. cit. P.47

(٩٨) مقال: الأدب العصرى، من: **الفصول**، ١٠٥.
(٩٩) الغزل الطبيعى، من كتابه: **الفصول**، ص٩٥.
(١٠٠) المرجع السابق، ص٩٦.
(١٠١) المرجع نفسه، ص٩٩.
(١٠٢) المرجع نفسه، ص١٠٢.
(١٠٣) المرجع نفسه، ص٩٩.
(١٠٤) مقال "القديم والجديد" من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣/٣١.
(١٠٥) مقال "أنشودة الأمل" من كتابه: **كلمة السر**، كتاب اليوم- دار أخبار اليوم، (١٩٩٨)، ص١٥.
(١٠٦) مقال " التعدد فى حياة الإنسان" من كتابه: **الله فى الإنسان**، مرجع سابق، ص١١.
(١٠٧) مقال أحسن إلى، من: **حديث الأربعاء**، ٣/١٢٦.
(١٠٨) المرجع السابق، ٣/١٢٧.
(١٠٩) **البخلاء**، ص٧٨.
(١١٠) مقال "القديم والجديد" من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣/٣٢.
(١١١) المرجع السابق، ص٣/٥٣.
(١١٢) مقال: من الألم ينبع كل شئ عظيم، من كتابه: **الله فى الإنسان**، ص١٥١.
(١١٣) رسائل إخوان الصفا، ٤/٣٥.
(١١٤) كتاب الإخشيد إلى أرمانوس، فى كتاب: **جمهرة رسائل العرب**، جمع أحمد زكى صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى. (١٣٥٦هـ-١٩٣٧م)، ٤/٤٢١.
(١١٥) المرجع السابق، ٤/٤٢٢.
(١١٦) مقال: الأدب ينهض فى عصور المشادة. من كتاب: **حصاد الهشيم**، ص٤٧.
(١١٧) المرجع السابق، ص٤٨.
(١١٨) **البخلاء**، ص٨٠.
(١١٩) **رسائل إخوان الصفا**، ٤/٣٠.
(١٢٠) مقال: من الألم ينبع كل شئ عظيم، من كتابه: **الله فى الإنسان**، ص١٥١.
(١٢١) مقال: الغزل الطبيعى، من كتابه: **الفصول**، ص٩٦.
(١٢٢) كتاب الإخشيد، من كتاب: **جمهرة رسائل العرب**، ٤/٤١٩-٤٢.
(١٢٣) **البخلاء**، ص٨٠.
(١٢٤) مقال: الحب القديم، من كتاب **الإسلام فى خندق**، ص٨.
(١٢٥) **البخلاء**، ص٧٩.
(١٢٦) **رسائل إخوان الصفا**، ٤/٣٦.
(١٢٧) مكاتبة الإخشيد، من: **جمهرة رسائل العرب**، ٤/٤١٦.
(١٢٨) **البخلاء**، ص٧٨.
(١٢٩) **البخلاء**، ص٨.
(١٣٠) أونج، والتر: **الشفاهية والكتابية**، ترجمة د.حسن البنا عز الدين، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت (١٤١٤- ١٩٩٤)، ص٩٤.
(١٣١) مقال: أحسن إلى، من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣/١٢٧.
(١٣٢) مقال: الغزل الطبيعى، من كتابه: **الفصول**، ص١٠٠.
(١٣٣) مقال: الأدب العصرى، من كتابه: **الفصول**، ص١٠١.
(١٣٤) مقال: الحب القديم، من كتابه: **الإسلام فى خندق**، ص٧.
(١٣٥) راجع فى تفصيل ذلك

Halliday, M. A. K.: **An Introduction to Functional Grammar**. Edward Arnold. London-Routledge, Chapman and Hall. Inc. U.S.A 2nd Edition (1994) pp.216-225, pp.23-235.

(١٣٦) المرجع السابق ص٢٣٥-٢٣٦.
(١٣٧) **البخلاء**، ص٧٨.

(١٣٨) مقال: القدماء والمحدثون، من كتابه: **حصاد الهشيم**، ص٢٢٣.
(١٣٩) مقال: أحسن إلى من كتابه: **حديث الأربعاء**، ١٢٦/٣.
(١٤٠) مقال: القديم والجديد من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣٥/٣.
(١٤١) المرجع السابق، ٣١/٣.
(١٤٢) مقال: أحسن إلى، من كتابه: **حديث الأربعاء**، ١٢٦/٣.
(١٤٣) مقال: التعدد فى حياة الإنسان، من كتابه: **الله فى الإنسان**، ص١٣.
(١٤٤) **رسائل إخوان الصفا**، ٣٠/٤.
(١٤٥) مقال: القديم والجديد من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣٣/٣.
(١٤٦) المرجع السابق، ٣٣/٣.
(١٤٧) مقال أنشودة الأمل، من كتابه: **كلمة السر**، ص١٥.
(١٤٨) **رسائل إخوان الصفا**، ٣٣/٤.
(١٤٩) المرجع السابق، ٣٣/٤.
(١٥٠) المرجع نفسه، ٣٣/٣.
(١٥١) المرجع نفسه، ٣٢/٤.
(١٥٢) مقال: أحسن إلىّ من كتابه: **حديث الأربعاء**، ١٢٦/٣.
(١٥٣) **رسائل إخوان الصفا**، ٣٣/٤.
(١٥٤) **البخلاء**، ص٧٩.
(١٥٥) مقال : أحسن إلى، من كتابه: **حديث الأربعاء**، ١٢٥/٣.
(١٥٦) راجع مثلاً: **البيان والتبيين** ١١٦/٢ ، **كتاب الصناعتين**، ص٢٦٠-٢٦٥ **المثل السائر** ٢٩١/١.
(١٥٧) **البخلاء**، ص٨٠.
(١٥٨) **جمهرة رسائل العرب**، ٤١٦/٤.
(١٥٩) مقال: الغزل الطبيعى، من كتابه: **الفصول**، ص٩٥.
(١٦٠) مقال: الأدب العصرى، من كتابه: **الفصول**، ص١٠١.
(١٦١) **البخلاء** ص٧٩.
(١٦٢) مقال: القديم والجديد، من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣١/٣.
(١٦٣) **البخلاء**، ص٧٩.
(١٦٤) المرجع السابق، ص٧٨.
(١٦٥) مقال: تجربتنا مع الديمقراطية، من كتابه: **دفاع عن الديمقراطية**، ص٣٠.
(١٦٦) مقال: التعدد فى حياة الإنسان، من كتابه: **الله فى الإنسان**، ص١٣.
(١٦٧) مقال: القديم والجديد، من كتابه: **حديث الأربعاء**، ٣١/٣.

(168) Al-Jubouri, A.J.R.: The Role of Repetition in Arabic Argumentative Discourse. In **Swales** J. and H. Mustafa (eds.): English for Specific Purposes in the Arab World. Birmingham: Languages Services Unit. Aston Uni. (1984) pp. 99-117p.102.

(169)Koch, Barbara, Johnstone: Presentation as Proof, op. cit. p., 50.

(١٧٠) **كتاب الصناعتين**، ص٢٦٢-٢٦٣.
(١٧١) راجع تفصيل ذلك:

Ostler, Schriley, E.: **English in Parallels**, op. cit. pp.173-175.